الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

republic algerien democratique et populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement supérieur et de la Recherche scientifique

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة – Centre Universitaire SALHI Ahmed –NAAMA

معهد الآداب واللغات قسم اللغة الأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي بعنوان:

النقد الثقافي في كتاب "تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط"، لنادر كاظم

ميدان اللغة والأدب العربي شعبة الدراسات الأدبية تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

– إشراف الأستاذ:

د. لخضر بوخال

– إعداد الطّالب:

الطيب بلخيري

إسم الأستاذ	الصفة
د/ هشام بكرى	رئيسا
أ:د/لخظر بوخلخال	مشرفا و مقرراً
د/ حبيب معروف	ممتحنا

الموسم الجامعي: 2025/2024م الموافق: 1445ه

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تصريح الشرف خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : الطيب بلخيري

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) ماستر أدب عربي حديث ومعاصر

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 216390555

الصادرة بتاريخ : 2025/07/21

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب واللغات

قسم : اللغة والأدب العربي

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : النقد التطبيقي في كتاب تمثيلات الآخر صورة السوداني المتخيل العربي الوسيط للناذر كاظم

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 2025/12/30

توقيع المعني

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف الدكتور "بوخال لخضر " وجميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي على دعمهم وإرشادهم الكريم خلال فترة تحضيرنا لمذكرتنا،

وعلى جهودهم المبذولة في إثراء معارفنا وتوجيهنا خلال هذه الرحلة العلمية، لا يسعنا إلا أن نعبر عن امتناننا العميق لهم

وعلى تفانيهم واهتمامهم الدائمَين

وعلى الإرشاد القيم الذي ساهم في إنجاز هذه المذكرة بنجاح

مـقـدمـة

يشكل النقد الأدبي المعاصر أرضية خصبة للمتلقي حتى يفهم الأنساق الظاهرة والمضمرة التي انطلق منها الكاتب أو المبدع في كتابته، ومن أعلام النقد الثقافي في البيئة العربية نجد عبد الله إبراهم وعبد الله الغذامي وعبد النبي أصطيف وعبد القادر الرباعي وغيرهم ممن كانت لهم جهود محمودة في هذا المجال، إضافة إلى الناقد البحريني نادر كاظم، الذي له عدة مؤلفات تعنى بالنقد الثقافي، منها على سبيل المثال: النقد والتلقي، استعمالات الذاكرة، خارج الجماعة، لا أحد ينام في المنامة، وغيرها من المؤلفات التي سنشير إليها في ثنايا البحث، وما يهمنا هنا هو كتابه المعنون بتمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وزارة الإعلام البحرين، ط1، 2004.

وسنحاول تحليل بعض ما جاء في هذا الكتاب من مفاهيم ودراسات لها علاقة بالنسق الثقافي المتمثل في صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، وهو ما يجعلنا نطرح الإشكالية الآتية:

ما هي تجليات النقد الثقافي في كتاب تمثيلات الآخر لنادر كاظم؟

وتندرج تحتها بعض **التساؤلات** منها:

ما هو مفهوم النسق الثقافي وما أنواعه؟

ما هو مفهوم المتخيل والمرجعة؟

كيف عالج الكاتب نادر كاظم التمثيل الثقافي لصورة السواد في السرد والشعر العربيين؟

وبالنسبة **للأهمية التي يكتسيها الموضوع** فتكمن في دراسة مؤلف من المؤلفات المهمة في موضوعها والتي لم تحظ بالدراسة الأكاديمية الكافية، باعتباره نموذجا من نماذج الدراسات العربية في حقل النقد الثقافي.

ويهدف البحث إلى التعرف على صورة السواد والزنج في المتخيل العربي الوسيط، والمرجعيات المتعلقة بذلك، مع دراسة نماذج من النصوص السردية والشعرية التي حفلت بتوظيف السواد كرمز ونسق ثقافي له خصائص معينة..

وبالنسبة **للأسباب التي جعلتنا نختار هذا الموضوع** فمنها على سبيل المثال:

- ❖ أن مؤلفات الناقد البحريني نادر كاظم لم تحظ بالدراسات الأكاديمية الكافية التي تعنى بالنقد العربي عموما والنقد الثقافي خصوصا.
- ❖ أن كتاب تمثيلات ثقافة، من المؤلفات التي عالجت مسألة التمثيل الثقافي للسواد من عدة نواح وزوايا على مر التاريخ العربي الوسيط.

وفيما يخص **المنهج المتبع للدراسة**، فقد اتبعنا المنهج الوصفي في الفصل الأول، المتعلق بالتعريف بالمؤلِف (نادر كاظم) وذكر سيرته العلمية ومؤلفاته، إضافة إلى التعريف بكتابه تمثيلات الآخر وذلك بالإشارة إلى ما تضمنه من أبواب وفصول وقضايا لها علاقة بموضوع السواد في المتخيل العربي الوسيط.

وتم تقسيم البحث إلى فصلين، الأول منها نظري بعنوان: التعريف بنادر كاظم وكتابه تمثيلات الآخر، وجاء مقسما إلى ما يلي:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف: ويشمل: سيرته العلمية – مؤلفاته - منهجه في النقد الثقافي

المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف: من حيث الشكل - من حيث المضمون - المفاهيم الثقافية في الكتاب

وجاء الفصل الثاني موسوما ب: دراسة مضمون كتاب ثمثيلات الآخر، وقد قسم إلى مبحثين كما يلي:

المبحث الأول: الأسود في مرجعيات المتخيل العربي: وفيه ما يلي: مرجعية الأنساق الثقافية -الأسود والحاجة إلى التمثيل - خطاب الاستفراق والصورة النمطية عن السود - الزنجي والطرب

المبحث الثاني: الأسود والتمثيل الثقافي التخييلي: ويضم ما يلي: السرد وعبور الحدود - الأسود في التمثيل السردي - الشعر وخطورته في التمثيل - الأسود في التمثيل الشعري.

أما المصادر والمراجع المعتمدة والتي تتصل اتصالا مباشرا بالموضوع، فنذكر منها:

1 آرثر أزابرجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية.

2 تيري إيجلتون، فكرة الثقافة.

3 عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق العربية.

4 عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة.

5 محمد نور الدين أفاية، الغرب المتخيل، صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط.

6 نادر كاظم، تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط.

أما عن **الصعوبات التي واجهتنا** في البحث فهي تعدد موضوعات الكتاب، وكثرة الأمثلة والنماذج التي قام المؤلف بدراستها وتحللها.

الفصل الأول:

التعريف بنادر كاظم وكتابه

"تمثيلات الآخر"

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

في هذا المبحث سنقوم بترجمة الكاتب والناقد البحريني نادر كاظم، صاحب كتاب تمثيلات الآخر، وهو من النقاد الذين تناولوا العديد من الموضوعات المتصلة بالنقد والتلقي، فقد ألف العديد من الكتب المتعلقة بالنقد الثقافي إضافة إلى دراسة العلاقة بين العلوم الإنسانية والنظرية النقدية.

1 سيرته العلمية

ولد الناقد والباحث الأكاديمي نادر كاظم في قرية الدير في المحرق البحرينية عام 1973، وقد تلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي في المداس الحكومية، قبل الالتحاق بجامعة البحرين، حصل على البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها عام 1995، ودرجة الماجستير بامتياز مع مرتبة الشرف في النقد الحديث في عام 2001، وعمل محاضرا ومساعد بحث غير متفرغ بالجامعة ذاتها، ثم مدرسا في المدارس الحكومية، وحصل على درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى (2001 – 2003) من معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية بأطروحة تحمل عنوان "تمثيلات الآخر: هوية السود في المتخيل العربي الوسيط".[1]

وعلى الرغم من أنه ولد وسط عائلة تتبع المذهب الشيعي، غير أنه يعتبر هذا الأمر لا يعدو أمرا تاريخيا لا يؤثر علية كناقد وباحث، كما يشير في مقابلة له مع صحيفة "الوقت" بقوله: إن التحاقه بالجامعة في سنة 1991 كان منعطفا حاسما في حياته العلمية، حيث تأثر آنذاك بالصحوة الإسلامية في سنوات الثمانينات، وقد شارك في عدة أنشطة دينية منذ طفولته، ورفض تصنيفه بأنه "إسلامي" أو "إسلامي شيعي"، أو حتى مثقف شيعي، على الرغم من أنه يعتبر الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية هي التي نشأ وترعرع عليها، وقد تبنى أفكار ما بعد الحداثة متجنبا الدخول في متاهة الحداثة، وفي أوائل التسعينات اهتم بالنظرية النقدية والدراسات الثقافية[2].

في فبراير 2007 كرمته صحيفة الوسط، لمساهماته الفكرية والثقافية في إثراء النقاش في البحرين. خلال هذا الحدث أشاد منصور الجمري رئيس تحرير الصحيفة بكاظم لكتاباته المناهضة للطائفية، وقال إنه كاتب متميز. أشاد العديد من الأكاديميين والصحفيين الآخرين به.

---

[1] ترجمة الناقد البحريني نادر كاظم على موقع ويكيبيديا: الموسوعة الحرة على الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%A7%D8%AF%D8%B1_%D9%83%D8%A7%D8%B8%D9%85
تاريخ الولوج والقراءة: 26 – 07 – 2025، على الساعة 10:46.

[2] المرجع نفسه.

ومن سيرته العلمية[1]:

- حصل مرتين على جائزة الكتاب البحريني المتميز: الأولى في مجال النقد لعام 2003 عن كتابه "المقامات والتلقي"، والثانية في مجال الدراسات الإنسانية والاجتماعية لعام 2004 عن كتابه "تمثيلات الآخر.
- عضو في العديد من لجان التحكيم في الجوائز العربية واللجان العلمية في المجلات العربية.
- أستاذ الدراسات الثقافية في قسم العلوم الاجتماعية بكلية الآداب جامعة البحرين من سنة 2010 إلى غاية 2022.
- رئيس تحرير مشارك لمجلة علوم الإعلام والاتصال التي تصدر عن المركز الدولي لدراسات الإعلام بلندن.
- عضو اللجنة العلمية لمجلة خطابات، وهي مجلة علمية محكمة تعنى بدراسات الخطاب، وتصدر عن مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، والمحرر الضيف للعدد السادس من المجلة والذي كان محوره حول خطابات العنصرية.
- عضو هيئة تحرير "مجلة أبوليوس" في الآداب واللغات، وهي مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية الآداب واللغات بجامعة محمد الشريف مساعدية بسوق أهراس.
- عضو الهيئة الاستشارية لمجلة الأقلام العراقية.
- مدير تحرير "مجلة العلوم الإنسانية" بجامعة البحرين في الفترة (2005 – 2014)، ومدير تحرير "مجلة ثقافات" في الفترة (2007 – 2014) ومجلة "أوان" في الفترة (2003 – 2005).
- عضو هيئة التحرير في مجلة "البحرين الثقافية" في الفترة (2008 – 2014)، والعديد من لجان التحكيم العلمية والثقافية مثل: "جائزة البحرين للكتاب المتميز" في مجال الدراسات الاجتماعية والإنسانية، وجائزة "القصة" بوزارة الثقافة بجمهورية مصر العربية، وجائزة "محمد زفزاف" للرواية العربية بالمغرب، وجائزة "الشيخ زايد" للكتاب، وجائزة مجلة "العربي" الكويتية للقصة، وجائزة الملك فيصل العالمية.

[1] ينظر: ميلودي أحلام، منظومة النقد الثقافي العربي المعاصر – نادر كاظم ومفاهيم التحليل الثقافي في كتاب تمثيلات الآخر، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تخ: نقد حديث ومعاصر، كلية الآداب واللغات، جامعة يحيى فارس، المدية، 2022-2023، ص 27-28.

- عضو أسرة الأدباء والكتاب في البحرين، وعضو لجنة الدراسات والبحوث في أسرة الأدباء والكتاب منذ 2016.

2 مؤلفاته

«الدكتور نادر كاظم، الناقد والمفكر البحريني الذي يستعصي تصنيف مجال اشتغاله، فمن النقد الأدبي وإشكالية التلقي من خلال كتابه «المقامات والتلقي: بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمداني في النقد العربي الحديث» الذي صدر سنة 2003م، إلى الدراسات السياسية في محاولته لإنقاذ الأمل والتصالح الوجودي والفلسفي مع المرض، مرورًا بالغيرية وتمثلات الآخر من خلال الدراسات التاريخية والأنثروبولوجية التي حاول من خلالها تحليل العنصريات المستشرية في المجتمع العربي قديمه وحديثه واقعه وتخيلاته، من دون أن نغفل متنه المتعلق بتفكيك ومقاربة تاريخ البحرين، بما يحمله من الجدة والسبق في تناول موضوع كان نادرًا، إن لم نقل منعدما في أبحاث المؤرخين»[1].

ومن الكتب التي أصدرها نذكر:

1 المقامات والتلقي، بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وزارة الإعلام البحرين، ط1، 2003:

وأصل الكتاب رسالة ماجستير، ومن الواضح أن المؤلف حاول في كتابه هذا استنطاق مختلف القراءات التي تشكلت حول مقامات الهمذاني، على مدار القرون المتلاحقة، غير أنه يركز بحثه حول الدراسات النقدية الحديثة، وفي ذلك يقول: «وعلى الرغم من أن هذا البحث يدرس أنماط التلقي التي تشكلت حول مقامات الهمذاني في مجال ثقافي محدد، وهو مجال ينطوي على شروط تاريخية خاصة، وضمن حدود زمنية معينة، تمتد على مدى قرن ونصف أو يزيد ... فإننا لم نجد مناصا من التعرض لردود الفعل المبكرة التي دارت حول مقامات بديع الزمان منذ أواخر القرن الرابع الهجري»[2]

2 تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وزارة الإعلام البحرين، ط1، 2004:

وهو الكتاب الذي نود دراسته في هذا البحث، وهو في الأصل أطروحة دكتوراه، ويدخل موضوعه ضمن الدراسات النقدية الثقافية، وقد قدم له الغذامي بقوله: «سيجد قارئ هذا الكتاب سياحة ثقافية

---

[1] واياو فاطمة، مشروع نادر كاظم النقدي والفكري، نحو فكر الأمل الإنساني والعربي، موقع الفيصل، بتاريخ 1 يوليو 2025، على الرابط: https://www.alfaisalmag.com/?p=987522024

تاريخ الولوج والقراءة: 26 – 07 – 2025، على الساعة 11:09.

[2] نادر كاظم، المقامات والتلقي، بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وزارة الإعلام البحرين، ط1، 2003، ص 11.

عميقة وعريضة في التراث ونصوصه وفي نظريات تحليل الخطاب، وسيجد فيه مرآة كاشفة تكشف الذات الداخلية لكل واحد منا، وهي ذات ورثناها وتعلمناها وتشربنا معانيها، وربما لا نجهلها تمام الجهل، غير أننا بكل تأكيد نجنح إلى التغطية عليها مثل فعل الخاطئ الذي يغطي على فعلته ويتناسى حكايتها»[1]

3 طبائع الاستملاك، قراءة في أمراض الحالة البحرينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وزارة الإعلام البحرين، ط1، 2007:

وهو كتاب مقسم إلى فصول ثمانية تعالج بعض المسائل المتعلقة بالوطن والدولة والطائفية، ومسألة الاستملاك الرمزي، وهو استمرار لما جاء في الكتاب السابق "تمثيلات الآخر"، يقول المؤلف: «أعود اليوم، في هذا الكتاب، إلى إشكالية قريبة من إشكالية التمثيلات وممارسة الهيمنة، إلا أن الجهد الأكبر يتركز هنا على أسئلة "ما وراء التمثيل" و"ما وراء الهيمنة"، وهذا ال"ما وراء" هو ما أسميه هنا ب "طبائع الاستملاك" ... وعلى هذا فإن قراءة "طبائع الاستملاك" هي استمرار لقراءة "تمثيلات الآخر"، وفي الحالين تتوسل القراءة بالنقد الثقافي من أجل مقاربة الأمراض التي تعتري "فعل التواصل بين البشر»[2]

4 استعمالات الذاكرة، في مجتمع تعددي مبتلى بالتاريخ، مكتبة فخراوي، المنامة، ط1، 2008:

وهو يضم مدخلا وفصولا ستة، تتمحور حول الذاكرة، القانون، الأخلاق، الولاء، الشتات والخراب، وبذلك فإنه يعتبر امتداد للأنساق الثقافية التي عالجها في الكتابين السابقين، حيث يركز في هذا الكتاب على الذاكرة ودورها الثقافي، باعتبارها خزانا للتاريخ الجمعي للأفراد والجماعات، يقول في مقدمته: «يمثل هذا الكتاب، ولاعتبارات عديدة، استمرارا لكتابي الأخير "طبائع الاستملاك"، وعلى الرغم من أن إشكالية الاستملاك ليست حاضرة بقوة هنا، إلا أن الكتاب يندرج، مثله مثل سابقه، في قراءة الأمراض والعيوب الجماعية السياسية والثقافية التي تهيمن على الحالة البحرينية، وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يتركز على السياق البحريني، إلا أنه يتناول إشكالات عامة وأمراضا جماعية قد تبتلى بها كل المجتمعات التعددية»[3]

5 إنقاذ الأمل، الطريق الطويل إلى الربيع العربي، مسعى للنشر والتوزيع، المنامة، ط1، 2013:

ويتضمن مقالات حول موجات الأمل التنويري والثوري في الوطن العربي، انطلاقا من بداية التحول الديمقراطي، أو المنقذ من الاستبداد، وهو ما أشار إليه "نادر كاظم" ببداية الطريق الطويل، يقول في ذلك: «ربما كان من التسرع الاعتقاد بأن انتفاضات الربيع العربي ستكون "يوم الخلاص" و"نهاية التاريخ" عربيا،

---

[1] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وزارة الإعلام البحرين، ط1، 2004، ص 12-13.

[2] نادر كاظم، طبائع الاستملاك، قراءة في أمراض الحالة البحرينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وزارة الإعلام البحرين، ط1، 2007، ص 10.

[3] نادر كاظم، استعمالات الذاكرة، في مجتمع تعددي مبتلى بالتاريخ، مكتبة فخراوي، المنامة، ط1، 2008، ص 9.

و"الكلمة الأخيرة" في المشهد الأخير، إلا أنه من الإجحاف كذلك أن نقول إن شيئا لم يتغير، والفكرة التي يدافع عنها هذا الكتاب هي أن انتفاضات الربيع العربي كانت محطة أساسية على "طريق طويل"، وفصلا مهما في سيرورة ممتدة على مدى قرنين كاملين، وذلك منذ أن افتتح رواد التنوير الفصل الأول من حكاية النهضة والحرية والتمدن في التاريخ العربي الحديث»[1]

6 لماذا نكره؟ أو كراهيات منفلتة مرة أخرى، دار سؤال للنشر والتوزيع، 2018:

وهو كتاب حول مسألة الكراهية لدى الإنسان تجاه الآخرين، ويضم الكتاب مدخلا وفصولا ستة تدور حول عولمة الكراهية وتكتيكاتها المصطنعة، إضافة إلى عولمة الاتصالات وعولمة الكراهيات، والحاجة إلى مراعاة الآخرين، والبحث عن عالم بلا كراهية، يقول في الفصل الثالث: «كان البشر هم مصدر الكراهية، وهم، في الوقت ذاته، نواقلها وحواملها الأساسيين، وكانت الكراهية وخطاباتها لصيقة بالبشر، تنتقل معهم وعبرهم في رحلتهم الشاقة والطويلة من مصدرها حتى هدفها، إلا أنها تصل، إن كتب لها الوصول في نهاية المطاف، مرهقة ومتعبة وهزيلة تماما كحال البشر ودوابهم في نهاية الرحلة، لكي تنتقل الكراهية من مكان إلى آخر كان عليها أن تجد بشرا يحملونها في صدورهم أو ذاكرتهم أو في بطون كتبهم ورسائلهم»[2]

7 خارج الجماعة، عن الفرد والدولة والتعددية الثقافية، دار سؤال للنشر، بيروت، ط1، 2016:

ويضم الكتاب ستة فصول تتمحور حول مسألة التعددية الثقافية في الوطن العربي وبالخصوص في البحرين، وهو بذلك يثير بعض التساؤلات من أهمها: هل التعددية الثقافية مذنبة؟ هل التعددية بدعة ليبرالية؟ معضلة الاعتراف في التعددية الثقافية، هل البحرين دولة متعددة الثقافات؟ يقول المؤلف في الفصل السادس بعنوان: "وحش الهوية، في العيش مع المثيل بأي ثمن": «تعتبر الجماعة، في المنظور الليبرالي الكلاسيكي، موقعا غير مرغوب فيه، كما أنها مصدر للضغط والإكراه والقسر، ولهذا يفضل بعض الليبراليين العيش خارج الجماعة لا لأنها مصدر للإكراه فحسب، بل لأنه ليس على المجتمع ولا على الدولة أن يقولا للمرء كيف يجب أن يعيش حياته، فكل امرئ هو أدرى بمصلحته واختياراته، ويرجع هذا الرفض الليبرالي للتدخل الخارجي الأبوي إلى مفهوم الحرية لدى كانط»[3]

8 الهوية والسرد، معهد إبراهيم بن محمد آل خليفة للثقافة والبحوث، 2006

9 لا أحد ينام في المنامة: التاريخ والمكان والإنسان، دار سؤال للنشر والتوزيع، 2019.

---

[1] نادر كاظم، إنقاذ الأمل، الطريق الطويل إلى الربيع العربي، مسعى للنشر والتوزيع، المنامة، ط1، 2013، ص 12-13.

[2] نادر كاظم، لماذا نكره؟ أو كراهيات منفلتة مرة أخرى، دار سؤال للنشر والتوزيع، 2018، ص 125.

[3] نادر كاظم، خارج الجماعة، عن الفرد والدولة والتعددية الثقافية، دار سؤال للنشر، بيروت، ط1، 2016، ص 165.

10 تاريخ الأشياء: عن الشارع والمقبرة وأشياء أخرى، دار سؤال للنشر والتوزيع، 2021.

كما أنه له عدة مقالات في مجلة محكمة من بينها[1]:

1 إدوارد سعيد ونصه بين تعدد السياقات والتأويلات المغلوطة، مجلة البحرين الثقافية، العدد 28، أبريل 2001.

2 نظريات القراءة من جمالية التفاعل إلى جمالية التأثير القرائي، مجلة أوان، العدد 1، سبتمبر 2002.

3 التمثيل الثقافي حين يعزل عن سياقه السياسي والثقافي، مجلة أوان، العدد 2، أكتوبر 2002.

4 هل السيرة الهلالية سيرة شعبية؟ الآخر السلطوي ورمنسة الجماعة الشعبية، مجلة أوان، العدد 3-4، نوفمبر 2003.

5 المقامات والتلقي العربي الحديث، مجلة أوان، العدد 3-4، نوفمبر 2003.

6 ترحل النسق من الدين إلى السياسة، مجلة أوان، العدد 5، مايو 2004.

7 من التناص إلى التورط، مجلة البحرين الثقافية، العدد39، سبتمبر 2004.

8 حداثيون ... ويصلون، أدلجة الدين وأدلجة الحداثة، مجلة علامات، المغرب، العدد 25، يناير 2006.

9 المنجل المهيب، ذاكرة المرض وأرشيف العقوبات الجسدية في البحرين، مجلة الدوحة، قطر، العدد 2، ديسمبر 2007.

10 المجتمع المدني والتحول الديمقراطي، قراءة نقدية، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، قطر، العدد 4، مايو 2013.

11 نهاية السرديات الصغرى: في تجاوز أطروحة ما بعد الحداثة، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، قطر، العدد 8، أبريل 2014.

12 تزفيتان تودوروف: الذاكرة تكسب في نضالها ضد العدم، مجلة الفيصل، السعودية، العدد 485 – 486، مارس 2017.

13 درايوش شايغان ... هوية بأربعين وجها، مجلة الفيصل، السعودية، العدد 501-502، يوليو 2018.

14 أمي وحصان نيتشه، تصدير للعدد 51 من مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، أكتوبر 2020.

[1] أرشيف الشارخ للمجلات الأدبية والثقافية العربية، على الرابط:

https://archive.alsharekh.org/AuthorArticles/12922

تاريخ الولوج: 02 – 08 – 2025، على الساعة: 12:19.

3 منهجه في النقد الثقافي

الثقافة لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور مادة (ثقف): «ثقف الشيء ثقفا وثقافا وثقوفة: حذقه، ورجل ثقف وثقف وثقف: حاذق فهم، وأتبعوه فقالوا ثقف لقف... ويقال: ثقف الشيء وهو سرعة التعلم ... ثقفت الشيء حذقته، وثقفته إذا ظفرت به، قال الله تعالى: ﴿فإما تثقفنهم في الحرب﴾ [الأنفال؛ 57]، وثقف الرجل ثقافة: أي صار حاذقا خفيفا، مثل ضخم فهو ضخم، ومنه المثاقفة»[1]

ووردت كلمة (ثقف) في القاموس المحيط ف: «ثقف، ككرم وفرح، ثقفا وثقفا وثقافة: صار حاذقا خفيفا فطنا، فهو ثقف، كحبر وكتف وأمير وندس وسكيت»[2]

من خلال هذه التعريفات اللغوية لمفهوم الثقافة تستشف أن الثقافة لا تخرج عن العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق بها.

اصطلاحا:

لقد كان التطور المفهومي للفظة خاضعا ومرتبطا بالجذر اللاتيني انطلاقا من مفهومها، الذي يمكن «أن يعني أي شيء ابتداء من الحراثة وزراعة الأرض إلى السكن والعيادة والحماية، وتطور: معناها من يكن أو يستوطن، وهو باللاتينية colonus إلى الكلمة المعاصرة استعمار colonialism، والتي يمكن ترجمتها إلى استعمار استيطاني، ولهذا فإن عناوين من الثقافة والاستعمار هي للمرة الثانية ضرب من الحشو»[3]

مفهوم النقد الثقافي :

لقد تعددت مفاهيم النقد الثقافي عند بعض النقاد ونجد منهم "عبد الله الغذامي" الذي عرفه على أنه: «فرع من فروع النقد النصوصي العام ومن ثم فهو أحد علوم اللغة والألسنة يعني بنقد الأنساق المضمرة التي تنطوي على الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغة ما هو غير رسمي ومؤسساتي، وما هو كذلك سواء بسواء همة كشف المخبوء تحت أقنعة البلاغي الجمالي»[4]

---

[1] ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 2000، مادة (ث ق ف)، ج 9، ص 19.

[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط (مادة نسق)، دار الحديث، 2008، القاهرة، ص 218

[3] تيري إيجلتون، فكرة الثقافة، ترجمة شوقي جلال، دار الكتب 2012، ص14

[4] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2005، لبنان، بيروت، ص 20.

يقول صلاح قنصوة: «النقد الثقافي ليس منهجا بين مناهج أخرى، أو مذهبا أو نظرية كما أنه ليس فرعا أو مجالا متخصصا بين فروع المعرفة ومجالاتها، بل هو ممارسة أو فاعلية تتوفر على دراسة كل ما تفرزه الثقافة من نصوص سواء أكانت مادية أو فكرية ويعني النص هنا لممارسة قولا أو فعلا معنا أو دلالة»[1]

نفهم أن النقد الثقافي نشاط نقدي مهم جدا تمكن أهميته في نقد الواقع الثقافي بوعي منفتح يسعى للتحديث.

يعرف الناقد "أرثر أيزابرجر: «النقد الثقافي كما اعتقده هو مهمة متداخلة مترابطة ومتجاوزة متعددة، كما أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون أفكار ومفاهيم متنوعة والتفكير الفلسفي وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي وبمقدوره أيضا أن يفسر نظريات ومجالات علم العلامات ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية الأنتروبولجية، ودراسات الاتصال وبحث في وسائل الإعلام والوسائل الأخرى المتنوع، التي تميز المجتمع والثقافة المعاصرة وحتى غير المعاصرة»[2]

ولا شك أن الناقد نادر كاظم كان له منهج خاص به في حقل الدراسات النقدية الثقافية، والذي اكتسبه من خلال تتلمذه على ثلة من الأساتذة في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، ومن أبرز هؤلاء: "عبد الله إبراهيم"، "عبد الله الغذامي"، و"نبيلة إبراهيم"،[3] حيث ساهم هؤلاء في بلورة الفكر النقدي لدى نادر كاظم، وهو ما تجلى من خلال مؤلفاته المذكورة سابقا، التي حاول من خلالها دراسة بعض الأنساق الثقافية المهيمنة على الفكر العربي الحديث، إضافة إلى دراسة مختلف أنماط التلقي للنص العربي، وهو ما أشار إليه بقوله: «المقامات والتلقي هو أول كتاب صدر لي، عندما بدأت العمل عليه، الذي هو في الأصل أطروحة ماجستير، كان الشائع في النقد العربي هو المناهج الداخلية، أو قراءة النص من الداخل سواء كانت البنيوية أو التفكيكية؛ أو ما سبقهما من المناهج التي تعتبر الآن أقرب إلى الطرق الكلاسيكية؛ أما الاهتمام بنظرية التلقي عربيا فقليل جدا، وخليجيا منعدما تقريبا والمكتبة العربية كانت إلى حدٍ ما فقيرة بترجمات قليلة عنها، مع وجود إشعارات متفرقة هنا وهناك»[4]

---

[1] صلاح قنصوة، تمارين في النقد الثقافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2007، ص 11.

[2] آرثر أزابرجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء إبراهيم، رمضان بسطاويس، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2003، ص 30 – 31.

[3] ينظر، كتاب تمثيلات الآخر، ص 7.

[4] حوار نادر كاظم حول كتابه المقامات والتلقي لموقع سما ورد، بتاريخ 24 فبراير 2021، على الرابط:
https://samaward.net/
تاريخ الولوج والقراءة: 02-08-2025، على الساعة 14:08.

كما يتميز منهج نادر كاظم بدراسة مختلف الأنساق الثقافية المهيمنة على الساحة العربية، وما تتميز به من تقلبات نتيجة تأثرها بالأوضاع السياسية والاقتصادية، إضافة إلى التنوع الثقافي سيما في البحرين، حيث إن المؤلف «يمثل جيلا من النقاد والناقدات في البحرين ومثلهم مجموعات في المغرب وفي فلسطين تبنوا مشروع النقد الثقافي وهم بذلك يتصدون لتغيير الخطاب النقدي وإعادة كتابة هذا الخطاب حسب وعي جديد ومصطلح مختلف وتصور يفتح المغلق ويضيء المعتم ويشاغب الساكن»[1]

ويرتكز المتن البحثي للناقد نادر كاظم على مقاربة قضية العيش المشترك والتسامح، ونقد التحيزات والعنصريات: الدينية والإثنية واللغوية، والجندرية، والاجتماعية، والثقافية. ويتوسد لهذه المهمة العميقة والجديدة للنقد وللدراسات الثقافية، استحداث هوية جديدة لهذا النقد، هذه الهوية التي تقوم عنده على القطع مع كل ما له صلة بالكراهيات التي تنفلت من العيش المشترك. وحول هذه القضية المهمة والمرتبطة كذلك بقضية الكراهية أو لنقل بآفة الكراهية المستديمة والمغرضة، وهي كلها كراهيات تنفلت من الهويات القاتلة ومن العيش المشترك المستحيل، التي شكلت محورا مهما في العديد من مؤلفات نادر كاظم[2].

[1] مقدمة عبد الله الغذامي لكتاب تمثلات الآخر، ص 13.

[2] ينظر؛ واياو فاطمة، مشروع نادر كاظم النقدي والفكري، نحو فكر الأمل الإنساني والعربي، مرجع سابق.

المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف

كتاب تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وزارة الإعلام البحرين، ط1، 2004، هو الكتاب الذي نود دراسته هنا، وهو – كما أشرنا – أطروحة دكتوراه، وقد حصل به على جائزة الكتاب البحريني المتميز الأولى عام 2005، وسنقوم بدراسته من حيث الشكل والمضمون، قبل ذكر أبرز المفاهيم التي تضمنها وعالجها المؤلف.

1 من حيث الشكل

أما من حيث الشكل، فإن كتاب تمثيلات الآخر يشتمل على 587 صفحة، وجاءت صورة الغلاف على النحو التالي:

لون بنفسجي، مكتوب في أعلاه اسم المؤلف باللاتينية (NADRE KADHEM)، تليها كلمة "دراسات" باللون الأحمر، ثم تحتها مباشرة اسم المؤلف بالعربية: د. نادر كاظم تحتها خط مقطع، يليه بعد ذلك العنوان الرئيسي بخط كبير باللون الأحمر (تمثيلات الآخر)، وتحته بخط أقل حجما عبارة: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، وهو العنوان الفرعي[1].

بعد ذلك نجد صورة مستطيلة الشكل باللونين الأبيض والأسود تظهر وجها لرجل أسود البشرة مقنع بلون أبيض تتخللها صور لأشخاص سود، دلالة على أن موضوع الكتاب هو دراسة حول رمزية اللون الأسود في المخيال العربي الوسيط، باعتباره يشير إلى بعض الدلالات مثل العبودية والدونية مقارنة بأصحاب البشرة البيضاء، وهو ما سنحاول دراسة بعض منه في الفصل الثاني من خلال تحليل مضمون الكتاب.

[1] ينظر؛ غلاف الكتاب.

أما في أسفل الصورة نجد زمر كل من دار النشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، في الجهة اليمنى، وزارة الإعلام البحرين، في الجهة اليسرى، وهو ما نلاحظه من خلال صورة الغلاف الآتية:

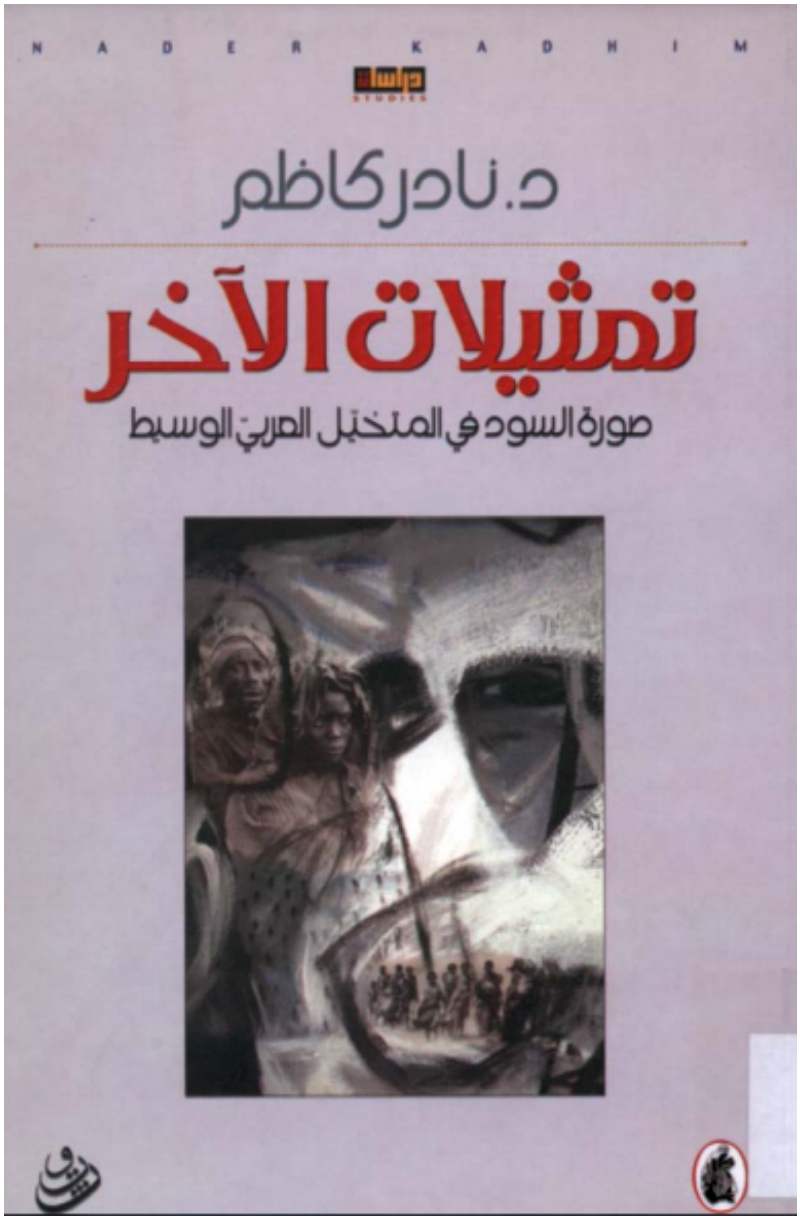

أما في الصفحة الثانية نجد إطار أسود صغيرا به عنوان الكتاب، تليه الصفحة الثالثة التي تتضمن معلومات الكتاب، من دور النشر، وعناوينها، إلى رقم الطبعة وتاريخها، فقد صدر الكتاب في طبعة أولى عام 2014، مكتوب تحتها: حقوق الطبع محفوظة.

دار النشر	المدينة	البلد
المؤسسة العربية للدراسات والنشر	بيروت	لبنان
وزارة الإعلام	المنامة	البحرين

دار فارس للنشر والتوزيع	عمان	الأردن

وفي الصفحة الرابعة نجد اسم المؤلف والعنوان مثل الصفحة الأولى، ثم نصادف صفحة خامسة بيضاء، تليها صفحة سادسة تتضمن الإهداء، بينما تضمنت الصفحة السابعة كلمة شكر وتقدير، ثم بياض في الصفحة الثامنة.

أما في الصفحات الخمس الموالية من 9 إلى 13 فهي عبارة عن تقديم للكتاب بقلم عبد الله محمد الغذامي، والذي ابتدأه بالتساؤل الآتي:

هل بإمكاننا أن نمارس النقد دون أن نغضب أحدا !

محاولا الإجابة على ذلك من خلال عرض كتاب نادر كاظم، وما تضمنه من قضايا ذات علاقة بالنقد الثقافي، وبتمثيلات الآخر في الثقافة الجمعية، سيما للون الأسود، مع الإشارة أولا إلى الدور الذي يلعبه الخطاب النقدي، والنظرة السلبية تجاهه، وذلك في قوله: «لم يكن النقد قطفي أي مرحلة من مراحله خطابا في المحبة ولم يكن خطابا محايدا وليس في مقدوره أن يكون، إلا إن تخلى عن مهمته الحقيقية، وليس بغريب أن تكون كلمة (نقد) ذات مدلولات سلبية في الذاكرة الاجتماعية، وإذا قال الناس إن فلانا ينتقد فلانا فإن هذا القول يحمل إنذارا مبكرا عن لغة سلبية وعن خصومة محتملة، هذا هو المعنى الشعبي العام للكلمة، وكثيرا ما يردد الناس تعبيرا يعلن نفيهم للنقد»[1]

وقد كتب التقديم المذكور بمدينة الرياض بتاريخ 22 – 12 – 2003، يليه بعد ذلك الصفحة 14 بيضاء، ثم مقدمة المؤلف "نادر كاظم" والتي تمتد على مدار 15 صفحة (من ص 15 إلى ص 29)، تليها صفحة بيضاء، قبل الدخول في متن الكتاب الذي يتضمن بابين، وكل باب به فصلان:

المقدمة		15 صفحة (من ص 15 إلى ص 29)
الباب الأول	**مرجعيات المتخيل والتمثيل الثقافي**	254 صفحة (من 31 إلى 284)
الباب الثاني	**الأسود والتمثيل الثقافي التخييلي**	265 صفحة (من 285 إلى 549)
الخاتمة		4 صفحات (من 550 إلى 553)

وقد تضمن كل من الباب الأول والباب الثاني ما يلي[2]:

الباب الأول: مرجعيات المتخيل والتمثيل الثقافي

[1] تقديم عبد الله الغذامي لكتاب تمثيلات الآخر، ص 9.

[2] ينظر؛ نادر كاظم، تمثيلات الآخر، مرجع سابق.

المتخيل والتمثيل: الطبيعة المزدوجة وتبادل التأثير		16 صفحة (من 33 إلى 48)
الفصل الأول	**الأسود في مرجعيات المتخيل العربي**	112 صفحة (من 49 إلى 160)
الفصل الثاني	**مستويات المغايرة وقوة التمثيل**	124 صفحة (من 161 إلى 284)
الباب الثاني: الأسود والتمثيل الثقافي التخييلي		
الأدب بوصفه تمثيلا ثقافيا		16 صفحة (من 287 إلى 302)
الفصل الثالث	**الأسود والتمثيل السردي**	126 صفحة (من 303 إلى 428)
الفصل الرابع	**الأسود والتمثيل الشعري**	121 صفحة (من 429 إلى 549)

2 من حيث المضمون

وبعد دراسة الكتاب من حيث الشكل، نحاول الآن دراسته من حيث المضمون، وذلك بعرض الموضوعات التي تناولنا المؤلف بالدراسة والتحليل، وقد عرفنا أن المؤلف نادر كاظم قد قسم كتابه الذي بين أيدينا إلى بابين، كل باب يتضمن مدخلا وفصلين، خصص كل فصل لدراسة جانب من الجوانب المتعلقة بتمثيلات الآخر، وفق الأنساق الثقافية المتعلقة باللون الأسود في المتخيل العربي من خلال دراسة عدة نماذج من التراثين السردي والشعري حيث تم توظيف السواد كلون له رمزية مستمدة من الثقافة الاجتماعية في البيئة التي يعيش فيها الأفراد ذوي البشرة السوداء، فالسود دائما أقل شأنا من البيض، وغالبا ما يتم استغلالهم أو استعبادهم، أو الإنقاص من قيمتهم، وفيما يلي عرض لما جاء في فصول الكتاب:

الفصل الأول: الأسود في مرجعيات المتخيل العربي

في هذا الفصل ناقش نادر كاظم مسألتين لهما علاقة بالسواد في التراث العربي، أولهما: اللون بوصفه علامة مميزة، وذلك من خلال دراسة التاريخ بوصفه سردا، حيث يقول: «حين نبحث عن المحركات التاريخية للمتخيل العربي عن السودان، لا نقصد من وراء ذلك الوصول إلى الأحداث كما وقعت، أو علاقات التفاعل الحقيقية بين العرب والسودان، بل القصد أن نستكشف ما اختزنته الذاكرة العربية من هذه الأحداث، وما ارتضاه الخطاب التاريخي العربي من طريقة في سرد هذه الأحداث، وفي تأويل دلالاتها المقبولة، فأحداث التاريخ إما أن تكون وقعت بالفعل، وإما أن يعتقد أنها وقعت بالفعل»[1]

بعد ذلك ينتقل الكاتب إلى ما أسماه الجبلة البيضاء والقرابة المتخيلة، ثم توتر المتخيل سرديات الوفاق والصراع، وفي ذلك يقول: «فسردية الوفاق والقبول كانت هي المتصدرة والبارزة في الذاكرة

[1] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، مرجع سابق، ص 55.

الجماعية، لكنها لم تكن السردية الوحيدة، إنها السردية المهيمنة التي كانت، كأي شكل من أشكال الهيمنة، تتعرض للمزاحمة من قبل سرديات أخرى، وطبقا لنظرية "ريموند وليامز"، فإن السردية المهيمنة تبقى في صراع دائم مع سرديتين أخريين، هما السردية المتخلفة أو المتبقية من سردية قديمة، وسردية بديلة طارئة أو منبثقة في الوقت الحاضر»[1]

كما عالج نادر كاظم في هذا الفصل مرجعية الأنساق الثقافية والمتمثلة في الدين، اللغة، الرمز، وذلك من خلال العناصر الآتية[2]:

- مفهوم النسق الثقافي
- الدين بوصفه نسقا ثقافيا.
- الدين والإنسان: اقتران وتلازم.
- الآخر في التصور الإسلامي.
- الأسود بين شمولية الدعوة ومجازيات الثقافة
- دلالات السواد الرمزية: الأحلام، اللباس، الحيوان.

الفصل الثاني: مستويات المغايرة وقوة التمثيل

في هذا الفصل يركز الكاتب على المستويات التي طالما تشكلت في المتخيل العربي نحو كل من لونه أسود، وذلك من خلال معالجة بعض الإشكاليات المتعلقة بما أسماه المغايرة والتمثيل، حيث جاءت عناصر هذا الفصل على النحو التالي[3]:

مدخل: الأسود والمغايرة المضاعفة

الأسود والحاجة إلى التمثيل.

خطاب الاستفراق وتشكل الصور النمطية عن السود، ويشمل كلا من:

أ – الصورة – الأم وتوالد التمثيلات.

ب – الزنجي والطرب: اختزال الثقافي إلى الطبيعي.

لعنة السواد وأمثولة النيء والمطبوخ والمحترق، ويشمل:

أ – السواد والعبودية: الأصل التوراتي والقراءة العربية.

[1] المرجع نفسه، ص 80.

[2] ينظر؛ الفصل الأول من الكتاب (من ص 49 إلى ص 160).

[3] ينظر؛ الفصل الثاني من الكتاب (من ص 161 إلى ص 284).

ب – نظرية الأقاليم السبعة: تدرج الطبائع واستراتيجية الاستثناء.

الجاحظ والسودان: بلاغة التمثيل وجدلية الفخر والهجاء.

هذا عن الباب الأول من كتاب تمثيلات الآخر، أما عن الباب الثاني المعنون ب "الأسود والتمثيل الثقافي التخييلي"، فقد ركز فيه المؤلف "نادر كاظم" على دلالة السواد ورمزيته في الخطابات الأدبية العربية، وذلك بوصف الأدب تمثيلا ثقافيا يعكس ثقافة الزمان والمكان، وقد خصص لذلك المدخل الذي أثث من خلاله لفكرة التخييل الثقافي العربي المتعلق بالسود، قبل أن يفصل في الأمر من خلال عرض بعض النماذج من النصوص الأدبية التي اتخدت من اللون الأسود جزءا من اهتمامها، وهو ما نجده في كل من الفصلين الثالث (الأسود والتمثيل السردي)، والرابع (الأسود والتمثيل الشعري).

الفصل الثالث: الأسود والتمثيل السردي

في هذا الفصل يحاول نادر كاظم معالجة التمثيل السردي للسواد، وقد قدم لذلك بمدخل بعنوان: السرد وعبور الحدود، قبل أن ينتقل إلى دراسة السرد ومجال الآخرية: الأسود في التمثيل السردي، وذلك من خلال العناصر الآتية:

أ – المولود الأسود وصدمة الولادة: ومثل لذلك بسيرة بني هلال، حيث سواد البطل بوصفه معضلة عابرة، وسيرة الأميرة ذات الهمة، حيث كان المولود أسود اللون وهو ما حرك مجال الآخرية في هذه السيرة.

ب – الأسود بين الآخرية التاريخية والآخرية العجائبية، وقد عالج فيه سيرة عنترة بن شداد: حيث تنوع الآخر واختراقات المتخيل، وهو ما تجلى من خلال الآخر المألوف والآخر الغريب، واضطراب الهوية والذات الممزقة في شخصية عنترة، وأيضا من خلال سيرة سيف بن ذي يزن: حيث النبوءات المحتشدة والكذبة المرعبة.

ج – ألف ليلة وليلة: السودان والشهوانية المفرطة، ففي نصوص شهرزاد العديد من النماذج للسود، من ذلك مثلا حكاية السيدة والعبد الأسود، من خلال انتظام السرد وزعزعة النظام، إضافة إلى العلاقة المحرمة والشاذة بين الأسود والمرأة.[1]

الفصل الرابع: الأسود والتمثيل الشعري

في الفصل الرابع والأخير من كتاب تمثيلات الآخر، السود في المتخيل العربي الوسيط، نلاحظ أن المؤلف نادر كاظم قد خصصه للأسود والتمثيل الشعري، وذلك من خلال دراسة نماذج من أشهر الأشعار التي قيلت فيمن لونه أسود، وقد ركز المؤلف في المدخل على الشعر وخطورته في التمثيل، لأن الشعر

[1] ينظر؛ الفصل الثالث (من ص 303 – إلى ص 428).

ديوان العرب، ويتناقله الرواة، سواء كان مدحا أو هجاءأو غير ذلك، مما يعطي صورة عن الأشخاص الذين قيل فيهم سواء بالإيجاب أو بالسلب، وقد ذكر المؤلف في هذا الفصل العديد من النماذج منها:

- ابن الرومي وبلاغة الاستنفار والتحريض.
- التناص بين الكافوريات والمتخيل (الكافوريات والمتخيل بين المطابقة والانحراف – قلب الكافوريات أو هجائيات الشراح).
- الشاعر الأسود ومقاومة التمثيل: وذكر فيه المؤلف ما يلي:

أ – الأسود المستوعب: ستر السواد والهوية المزدوجة (عنترة بن شداد: الجلد الأسود والخلق الأبيض – نصيب بن رباح: الشعر الأسود والمدح الأبيض – أبو دلامة: الظرف والمجاهرة بالسواد).

ب – الأسود النافر: مقاومة الهيمنة وممارسة التمثيل (سحيم عبد بني الحسحاس: انتقام الفحل الأسود – الحيقطان، وسنيح، وعكيم: الأسود وإعادة تحبيك التاريخ).[1]

3 المفاهيم الثقافية في الكتاب

لعل من أبرز المفاهيم المطروحة في كتاب تمثيلات الآخر، نجد: النسق الثقافي، التمثيل.

أ - تعريف النسق الثقافي:

من خلال تعريفات الثقافة والنسق يمكن أن نحدد تعريف للنسق الثقافي بأنه تلك العناصر المترابطة والمتفاعلة والمتمايزة التي تخص المعارف، والمعتقدات والأخلاق والعادات والتقاليد التي يكسبها الإنسان في مجتمع معين فمفهوم النسق الثقافي من خلال فهمنا هو تركيبة لمفهوم النسق والثقافة عرف الغذامي "النسق الثقافي" بقوله:

«فالأنساق الثقافية هذه أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي، المنطوي على هذا النوع من الأنساق وقد يكون ذلك في الأغاني أو الأزياء أو الحكايات والأمثال مثلما هو في الأشعار والإشاعات والنكت وكل هذه الوسائل هي جبل بلاغية جمالية تعتمد على المجاز وينطوي تحتها نسق ثقافي ونحن نستقبله لتوافقه السري وتواطئه مع نسق قديم منغرس فنيا»[2].

ويوضح عبد الله إبراهيم ويقول: «الثقافة مؤلف مضمر ذو طبيعة نسقية تلقي بشباكها غير المنظورة حول الكاتب فيقع في أسر مفاهيمها الكبرى التي تتسرب إليه كالمخدر البطيء فترب محمولات

[1] ينظر؛ الفصل الرابع (من ص 429 – إلى ص 549).

[2] عبد الله الغذامي، المرجع السابق، ص 76

خطابية لما يوافق المضامين الإيديولوجية الخاصة لها إننا بإزاء مؤلف من درج التكوين شخصي وآخر ثقافي والثاني لا يدخل وسعا في تشكيل وإعادة تشكيل الأول»[1].

أنواع الأنساق الثقافية:

إن النقد الثقافي في فحص وكشف الأنساق الثقافية الموجودة في الخطاب وهذه الأنساق تنقسم إلى قسمين هما كالآتي:

النسق العام (الظاهر):

يمثل النسق العام في النقد الثقافي فيما برز ونظم جماليات وعبارات لها دلائل معينة داخل النص، «ويسمي لومان هذه الأنساق بالأنساق الوظيفية لأن كلا منها يتفرد بوظيفة اجتماعية مهمة، فنسق القضاء يصوغ المعايير القانونية العامة ويدفع لتنفيذها، أما نسق العلوم فينتج معارف خاصة بالحقيقة، ونسق السياسة يتخذ قرارات ملزمة للجميع»[2].

وظيفة النسق الظاهر في النقد الثقافي - كما قال بعض النقاد - هي مجرد أداة ووسيلة للكشف عن الأنساق المضمرة، حيث يعتقد بعض من النقاد أن النسق الظاهر لا يولى من الاهتمام سوى بقدر ما يعد وسيلة للكشف عن المضمر المتواري خلفه.

2 النسق المضمر(الخفي):

يقول عبد الله الغذامي: «والنسق هنا ذو طبيعة سردية يتحرك في حبكة مقنعة ولذا فهو خفي ومضمرة وقادر على الاختفاء دائما، ويستخدم أقنعة كثيرة وأهمها قناع الجمالية اللغوية، وعبر البلاغة وجماليتها تمر الأنساق آمنة مطمئنة من تحت هذه المظلة»[3]، فالنقد الثقافي يركز على النسق المضمر، كونه مجال البحث المخصص به دون المناهج الأخرى، أما الظاهر فلا يولى من الاهتمام سوى كونه وسيلة للكشف عن المضمر المتخفي من خلفه.

ويقول الغذامي أيضا: «النسق المضمر يهدف إلى ربط الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن، كون النقد الثقافي يتعامل مع النصوص والخطابات، على أنها رموز جمالية ومجازات شكلية موحية، بل أساس أنها

[1] عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2014، ص 128

[2] نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، تر: يوسف فهما حجازي، منشورات الجمل، بغداد، ط1، 2010، ص 6

[3] عبد الله الغذامي مرجع سابق، ص 79

أنساق ثقافية مضمرة تعكس مجموعة عن السياقات الثقافية التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والقيم الحضارية والإنسانية»[1]

يأتي مفهوم النسق المضمر في نظرية النقد بوصفه مفهوما مركزيا، والمقصود من أن الثقافة تملك أنساقها الخاصة والتي هي أنساق مهيمنة، ونتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة سميكة، وأهم هذه الأقنعة وأخطرها في دعوانا، هو قناع الجمالية، أي أن الخطاب البلاغي الجمالي يخبأ من تحته شيء آخر غير الجمالية وليست الجمالية أداة تسويق وتمرير لهذا المخبأ، وأن تحت كل ما هو جمالي هناك شيء نسقي مضمر، وهنا تعمل إجمالية على التعمية الثقافية[2]

ب – تعريف التمثيل:

يقتضي البحث الثقافي النظر إلى الخطابات كتمثيلات ثقافية تتنوع باعتبار الموضوع الذي تتوخاه، وفي كل أحوالها تلك، تحاول الخطابات الظفر بتمركز يمثل الحضور المطلق الذي يقابله بدلا عن ذلك إقصاء لمكونات أخرة، وهو ما يعني أن مفهوم التمركز يرتبط بافتراض أولي يقوم على أن الخطابات تتأسس وفق رؤية تحيزية للحضارات التي تنتمي إليها، وكل نص يعتبر أنساقه الحضارية مركزا في حين تبدو بالنسبة إليه الأنساق الأخرى غير فاعلة، وحتى يمتلك الخطاب القدرة على التمركز، فإنه يقدم نفسه معتمدا على نمط من التفكير المترفع الذي ينغلق على الذات، ويحصر نفسه في منهج ينحبس فيه ولا يقارب الأشياء إلا عبر رؤيته ومقولاته[3].

إن مفهوم التمثيل يرتبط عادة بالقوة، حيث نجده عند "ميشال فوكو" آلية من آليات الهيمنة والإخضاع، لهذا تلجأ الثقافة عادة لتمثيل الآخر وثقافته من أجل السيطرة عليه، ومن آليات التمثيل الثقافي تحقير الآخر بتنميطه والسيطرة عليه وإعادة بنائه ثقافيا، فالتمثيل إخضاع إيديولوجي له دوافعه وأشكاله المختلفة، وهذا لا يعني أن التمثيل يقتصر على القوة والسيطرة بل يوجد تمثيل آخر مهم يتم باللغة والبلاغة، فمن خلال "فوكو" أن التمثيل علامة من علامات القوة والسيطرة[4].

يقول نادر كاظم: «لقد كانت الثقافة العربية الإسلامية، كأية ثقافة تسعى إلى تمثيل آخر خارجي عنها، كانت بحاجة إلى تمثيل الآخرين بهدف تشكيل الهوية وحراستها من الاختلاط بغيرها، وتشكيل

---

[1] جميل حمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة، (نظرية الأنساق المتعددة)، د.ط، د.ت، ص 15

[2] عبد الله الغذامي، وعبد النبي اصطيف، النقد الثقافي أم النقد الأدبي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2004، ص 30

[3] ينظر؛ مكاكي محمد، النقد الثقافي وأسئلة التمثيل، المفهوم والتحديات، مجلة المدونة، جامعة البليدة 2 لونيسي علي، مج 08، ع 02، 30 جوان 2021، ص 1082.

[4] ينظر؛ عطا الله عبد الباقي، الديب حامة، التمثيل الثقافي – قراءة في المفهوم - مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة حمة لخضر، الوادي، مج 13، ع 02، 15 – 09 - 2021، ص 1091.

الهوية يستلزم ترسيم الحدود الفاصلة بينها وبين هويات الآخرين، لكن السؤال هو: من أين تبدأ حدود الهوية، وعند أية نقطة تنتهي؟ إن المساحة التي تتشكل فيها الهويات بمثابة مناطق اعتباطية ومتاحة للجميع، لكن نظرة الجماعات المختلفة لذاتها وللآخرين هو ما يفرض النفوذ على منطقة دون أخرى»[1]

[1] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص 166.

الفصل الثاني:

دراسة مضمون كتاب تمثيلات الآخر

المبحث الأول: الأسود في مرجعيات المتخيل العربي

لا شك أن دراسة مرجعيات المتخيل لها دور كبير في معرفة المنطلقات التي يستند عليها، ضمن ثقافة معينة وتاريخ محدد، فلكل جماعة ثقافية مرجعياتها الخاصة بها، كما أن أي جماعة ثقافية أو بشرية لا يمكنها الاستغناء عن المتخيل، وهو ما أشار إليه "نادر كاظم" في الباب الأول من مؤلفه "تمثيلات الآخر"، والتخييل في اللغة من الجذر الثلاثي "خيل"، يقول ابن فارس: «الخاء والياء واللام أصل واحد يدل على حركةٍ في تلونٍ، فمن ذلك الخيال، وهو الشخص، وأصله ما يتخيله الإنسان في منامه؛ لأنه يتشبه ويتلون، ويقال خيلت للناقة، إذا وضعت لولدها يفزع منه الذئب فلا يقربه، والخيل معروفة ... ويقال: تخيلت السماء، إذا تهيأت للمطر ... والمخيلة: السحابة»[1]

فالمعنى اللغوي للجذر (خيل) يدور حول التشبه والتلون مع الحركة، وهو ما يفيد أن مفردات مثل: الخيال والتخييل والمخيال تشير إلى اشتباه وتلون في الصور، وغالبا ما يكون ذلك في منام الشخص أو في القصص الخيالية العجائبية التي تحمل ألوانا من الأحداث المتداخلة، التي يحصل فيها التباس، كما تشير إلى الظن، والالتباس؛ يقول ابن منظور: «وخيل فيه الخير وتخيله: ظنه وتفرسه، وخيل عليه: شبه، وأخال الشيء: اشتبه، يقال: هذا الأمر لا يخيل على أحدٍ أي لا يشكل، وشيء مخيل: أي مشكل»[2].

وقد عالج الأدباء والفلاسفة مفهوم الخيال، وربطوا بالعملية الإبداعية، ذلك أن الشعر في أصله يعتمد على الخيال، وينأى عن التعبير المباشر، ولعل من أبرز هؤلاء أفلاطون وأرسطو، وابن سينا، وابن رشد، وحازم القرطاجني، وغيرهم، و«قد كان أفلاطون واعيا بوجود علاقة سببية بين الخيال والإبداع وأخرى تفاعلية بينه وبين المحاكاة، ويتضح ذلك في معرض تساؤله: ما هي الملكة التي تؤثر فيها المحاكاة في الإنسان؟ ... والمحاكاة – وإن كانت تقوم على إعادة إنتاج مواضيع حسية معينة - إلا أنها ليست ذات طابع مرآوي ... ولكنها تسعى إلى خلق عوالم خيالية مشابهة للعالم المادي»[3]

فالخيال هو أساس الأعمال الإبداعية، لذلك نجد اهتماما كبيرا من لدن الأدباء والشعراء والفلاسفة، وقد أورد نادر كاظم في كتابه بعض تعريفات المتخيل منها على سبيل المثال تعريف "بول ريكور" الذي يعتبره رديفا للأديديولوجيا، أي الأيديولوجيا بوصفها نسقا من الأفكار والتمثيلات الجماعية التي تحمل الوهم والزيف، والإشارة إلى الواقع في الوقت ذاته، أي أنها بمثابة الواقع الوهمي كما يقول

---

[1] ابن فارس، أبو الحسن أحمد، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، ج2، ص 235، مادة (خيل).

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص 227.

[3] سعاد بولحواش، الطيب بودربالة، الخيال والمتخيل، مقاربة في المفهوم والمصطلح، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة، مج09، ع02، ديسمبر 2023، ص 83.

"ألتوسير"، وانطلاقا من ذلك فإن المؤلف يعتبر المتخيل نسقا مترابطا من الصور والدلالات والأفكار والأحكام المسبقة التي تشكلها كل فئة أو جماعة أو ثقافة عن نفسها وعن الآخرين.[1]

وقد عالج المؤلف الأسود في مرجعيات المتخيل العربي في الباب الأول من كتاب "تمثيلات الآخر"، من خلال العديد من النقاط والإشكالات التي أثارها وناقشها انطلاقا من نماذج مختارة، وسنورد أبرز تلك الإشكالات وفق ما يلي:

1 مرجعية الأنساق الثقافية

ركز نادر كاظم في الفصل الأول من كتابه على المرجعيات التاريخية والثقافية للسواد في المتخيل العربي، المرجعية في اللغة مصدر صناعي من "مرجع"، التي تدل على "الرد" أو "العودة"، وغيرها من المعاني التي وردت في السياقات المتعددة للفظة ومشتقاتها، يقول ابن منظور: «رجع يرجع رجعا ورجوعا ورجعى ورجعانا ومرجعا ومرجعة: انصرف، وفي التنزيل إن إلى ربك الرجعى، أي الرجوع والمرجع ... ويقال: أرجع الله همه سرورا أي أبدل همه سرورا ... ورجع الرجل وترجع: ردد صوته في قراءة أو أذان أو غناء ... وترجيع الصوت ترديده في الحلق»[2]

وقد وردت لفظة "مرجع" في مواضع متفرقة من الذكر الحكيم للدلالة على أن حال الناس يوم البعث والنشور، من ذلك قوله تعالى: ﴿ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ [سورة آل عمران؛ 55]، وقوله تعالى: ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ [سورة يونس؛ 46] وقوله تعالى: ﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾ [سورة الصافات؛ 68].

أما في الاصطلاح، فقد جاء مصطلح المرجعية (référence) في معجمات اللسانيات لتحديد ما يلي[3]:

- العلاقة بين التعبيرات الإحالية وما تعود إليه.
- التعبيرات الإحالية إلى ماذا تشير.
- فعل الرجوع إلى ما هو خارج اللغة.

ويشير هذا المفهوم في الدرس النحوي إلى التعريف بحالات الربط الموجود بين مختلف الوحدات النحوية مثل الضمائر العائدة على الأسماء في الجملة.

وإذا ما تأملنا كتاب تمثيلات الآخر لنادر كاظم، وجدنا أنه يخصص مساحة كبيرة من الفصل الأول للحديث عن المرجعيات التاريخية والثقافية المخزنة في الذاكرة الجمعية العربية حول السودان

[1] ينظر؛ نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص 20.

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج 8، ص 114- 115 مادة (رجع)

[3] بعزيز سلاف، التأصيل النظري لمصطلح "المرجعية" في التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة حمة لخضر، الوادي، مج7، ع8، ديسمبر 2015، ص 124.

والأحباش بشكل عام، حيث من الصعب تجاهلها، وهو ما حدث في بعض الأحيان مثل ما جرى مع "أبرهة الحبشي" على سبيل المثال الذي أراد هدم الكعبة، وهو ما عبر عنه بسردية الصراع في مقابل سردية الوفاق التي تدل على التعايش بين البيض والسود وفق الأخلاق والدين والإنسانية، انطلاقا من قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [سورة الحجرات؛ 13]، ويمكن التمثيل لذلك بهجرة المسلمين إلى الحبشة مرتين ولقائهم النجاشي ملك الحبشة، الذي أحسوا أنهم في حمايته من بطش المشركين.

وقبل أن يدخل المؤلف في تفاصيل الأنساق الثقافية للسود والمرجعيات الدينية واللغوية والرمزية التي تميزهم عن غيرهم من الناس، يورد قصة الرحالة محمد بن عمر التونسي (1789 – 1857م) الذي فزع وارتبك عندما قرر السفر إلى "دارفور" بالسودان للقاء والده الذي يبدو أنه كان مقربا من السلطان هناك، ويرجع فزعه وارتباكه إلى ما وقع في ذهنه ومخيلته وما تشربه من خلال ما جاء في الكتب والمرويات، عن العلاقة المتخيلة بين أبناء سام من البيض وأبناء حام من الأفارقة والسود، وهو ما يمثل المرجعية التاريخية الموجودة في ذهنه عما أسماهم فاحمي السواد (سواد في سواد في سواد)، يقول المؤلف: «حين نبحث عن المحركات التاريخية للمتخيل العربي عن السودان، لا نقصد من وراء ذلك الوصول إلى الأحداث كما وقعت، أو علاقات التفاعل الحقيقية بين العرب والسودان، بل القصد أن نستكشف ما اختزنته الذاكرة العربية من هذه الأحداث، وما ارتضاه الخطاب التاريخي العربي من طريقة في سرد هذه الأحداث»[1]

فالمرجعية التاريخية والثقافية البعيدة الموروثة عن الآباء والأجداد تمثل وعاء للأنساق الثقافية في المتخيل العربي عن السودان، باعتباره جنسا بشريا يختلف في طباعه عن سائر الأجناس، أو ما أطلق عليه المؤلف سردية الصراع، التي تناولها المؤرخون يقول المؤلف: «إذا كانت حكاية الصراع التوراتي بين أولاد حام (السودان) وأولاد سام (العرب والعبريين) ركزت على الاختلاف العرقي بين الفرعين، فإن حكاية "ذي نواس" ومحرقة أصحاب الأخدود ركزت على الاختلاف الديني بين عرب الجنوب الذين كانوا على دين اليهودية، وبين الحبشة التي كانت تدين بالنصرانية»[2]

وقد تحدث "نادر كاظم" عن الدين باعتباره نسقا ثقافيا، ذلك أن الإنسان أول ما خلق كان نبيا مكرما، وهو سيدنا آدم – عليه السلام – وذكر بأن الإنسان كائن متدين بالضرورة، وأن بينه وبين الدين علاقة تلازم، ولا فرق بين الإنسان وأخيه إلا بالتقوى، ولا يهم عرقه أو جنسه أو لونه، فالقرآن الكريم قد كرم

[1] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص 55.

[2] المرجع نفسه، ص 65-66.

بني آدم، وجعلهم أفضل خلقه، وخليفته في الأرض، وليس هناك فرق بين البشر بسبب اللون، ورغم ذلك فإن «مقياسي الإيمان والكفر، والتحضر والتوحش مثلا القاعدة المرجعية التي من خلالها أصدرت النخب العربية الإسلامية أحكامها على الآخرين»[1]

وقد عرض المؤلف "نادر" بعض أقوال الرحالة والجغرافيين حول السودان والحبشة، مثل المقدسي وابن حوقل وابن فضلان، غير أنما يهنا هنا ما ذكره بخصوص السود وذلك في قوله مثلا: «بعض المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب قد أشار إلى وجود أشكال من الأديان الوثنية وأنواع من الرسوم والسياسات الدنيوية لدى هؤلاء السودان، لكن هذه الأشكال والأنواع لم تكن قادرة على تغيير ما رسخ في المتخيل العربي من صور تبخيسية انتقاصية عن هؤلاء السودان»[2]

أما ما تعلق بالنسق اللغوي المرتبط بالسواد، فقد ذكر "نادر كاظم" أن هناك أربع مواضع في القرآن الكريم ذكرت فيها "مجازيات السواد"، من حيث دلالته على الكفر والفجور، والردة والجهل، والكذب على الله تعالى، وهي صور سلبية، في مقابل البياض الذي يشير إلى صور إيجابية، وهذه المواضع وهي:

الآية	السورة
﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (106) وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون (107)﴾	آل عمران؛ 106-107
﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾	الزمر؛ 60
﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾	النحل؛ 58
﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾	الزخرف؛ 17

2 الأسود والحاجة إلى التمثيل

يمكن القول إن الأسود الزنجي هو الآخر في المتخيل العربي، من حيث النظر إليه على أنه جنس هامشي منبوذ، مغاير للذات العربية الإسلامية، غالبا ما يصلح فقط للأعمال الشاقة والعبودية، يحمل وخما من الرموز والتصورات والأوصاف التي تشيؤ إلى حيوانيته وانحطاطه في مخيلة الإنسان العربي، الذي يخضع في رؤيته للأسود الزنجي أو الحبشي لما أسماه الغذامي بالجبروت الرمزي ذي الطبيعة

[1] محمد نور الدين أفاية، الغرب المتخيل، صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000، ص 205.

[2] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص 113.

المجازية الكلية الجماعية، أي أنه تورية ثقافية تشكل المضمر الجمعي الذي يقوم بدور المحرك الفاعل في الذهن الثقافي للأمة، وهو المكون الخفي لذائقتها ولأنماط تفكيرها وصياغة أنساقها المهيمنة[1]

وقد أشار نادر كاظم إلى أن "الأسود" هو المثال الحاسم للآخر المغاير بصورة كلية للذات العربية الإسلامية، حيث انتهى به المطاف في هذه المخيلة بالتصورات والرموز والأوصاف التبخيسية المذكورة التي نسجتها حوله ضمن ممارسة عمليات الاستعراض والتمثيل، مادام غير قادر على تمثيل نفسه، ويقصد بالتمثيل «في الدراسات الثقافية أن التصور الذي تتبناه الذات من الآخر المغاير لا يأتي من فراغ، وليس تصورا اعتباطيا بقدر ما هو نتاج ثمرة وعي ومعرفة سابقين، فالتمثل بالنسبة لإدغار آلا نبو هو تركيب ذهني ذو طابع شمولي ومتناسق ودائم وقار ناتج عن عملية بدائية انطلاقا من أثر الواقع على حواسنا وذاكرتنا»[2]

وكما أشرنا سابقا، فإن المؤلف أشار إلى أن المؤرخين والرحالة قد وظفوا عملية التمثيل تجاه السودان والزنوج، وفقا للمخلة العربية عنهم، وقد أورد بعض الأمثلة عن ذلك، من ذلك قول "ابن النديم: «فأما أجناس السودان مثل النوبة والبجة والزغاوة والمرارة والأستان والبربر وأصناف الزنج سوى السند، فإنهم يكتبون بالهندية للمجاورة، فلا قلم لهم يعرف ولا كتابة، والذي ذكره الجاحظ في كتاب البيان: للزنج خطابة وبلاغة على مذهبهم وبلغتهم، وقال لي من رأى ذلك وشاهده: إذا حزبتهم الأمور ولزتهم الشدائد جلس خطيبهم على ما علي من الارض وأطرق وتكلم بما يشبه الدمدمة والهمهمة فيفهم عن الباقون»[3]

فهذا "ابن النديم" وغيره من الرحالة والجغرافيين يمثلون السودان والزنوج بأنهم أقوام لا يعرفون الكتابة ولا القراءة، وإنما يكتبون بأقلام الأمم المجاورة لهم، مثل الهنود، إضافة إلى اتصافهم بالهمجية والحيوانية، وانحطاطهم الثقافي، ومثال ذلك ما أورده الطهطاوي في تخليص الإبريز بوصفه الزنود بالمتوحشين: «الذين هم دائما كالبهائم السارحة، لا يعرفون الحلال من الحرام، ولا يقرؤون ولا يكتبون ولا يعرفون شيئا عن الأمور المسهلة للمعاش، أو النافعة للمعاد، وإنما نبعثهم الوجدانية على قضاء شهواتهم كالبهائم، فيزرعون بعض شيء، أو يصيدونه لتحصيل قوتهم، ويخصون بعض أخصاص أوز خيام للتوقي من حر الشمس»[4]

[1] ينظر؛ الغذامي عبد الله، النقد الثقافي، ص 80

[2] بجاوي صالحة، تمثيل الأنا للآخر في رحلة الذهب والعاصفة لإلياس الموصلي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر، تخ: أدب عربي قديم، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة، 2020-2021، ص 26-27.

[3] ابن النديم، الفهرست، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1997، ص 33.

[4] رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، دار كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2012، ص 14.

ولعل مسألة تمثيل السودان في الثقافة العربية وأدبها ناتج عن غياب التمثيل الذاتي لدى الزنوج أنفسهم، لأنهم عاجزون عن ذلك بسبب عدم امتلاكهم كتابات مدونة، يمكن الرجوع إليها في عملية التمثيل، فضلا عن غياب لغة خاصة بهم يمكن أن تستعمل في عملية التمثيل، على غرار باقي الأمم الأخرى، مثل العرب والفرس والهند والسند والصينيين ... الذين يتصفون بوجود لغات خاصة بهم، وكتب تراثية تساعدهم في عملية التمثيل الذاتي، فالقلم والكتابة هما رمز الحضارة وميزة الأمم المتحضرة، وبدونهما لا تستطيع الأمة تمثيل ثقافتها بنفسها، إذ تعتبر «الكتابة أهم وسائل التمثيل، لكنها ليست الوسيلة الوحيدة، فالتمثيل قد يتم من خلال الكلام الشفاهي، أي من خلال الخطابة، وهي الشكل الأدبي المنافس والقوي للكتابة في القرون الهجرية الأولى ... وينقل المسعودي أن الزنج أولو فصاحة في ألسنتهم، وفيهم خطباء بلغتهم، أي أن لهم وسيلة مختلفة من وسائل التمثيل غير الكتابة، غير أن ابن النديم يساوي، من خلال الاستشهاد بمن رأى الزنج وشاهدهم بين هذه الخطابة وبين الدمدمة والهمهمة»[1]

3 خطاب الاستفراق والصورة النمطية عن السود

في هذا العنصر من الفصل الثاني يحاول المؤلف "نادر كاظم" تسليط الضوء على ما أسماه بمفهوم "الاستفراق" نسبة إلى إفريقيا، بمعنى أن الأدباء والمؤرخين يكتبون عن السودان والزنوج، من خلال التمثيل، وعلى الرغم من أن العرب قدموا تمثيلات متعددة تعدد الثقافات (الصينية، الهندية، الفارسية، الرومية، الصقلبية ...) وفق وجهة كل رحالة أو مؤرخ، أو كتاب جغرافي، إلا أن تمثيل السود كان أبرز تلك التمثيلات، يقول: «وعلى غرار الاهتمام الغربي بدراسة الشرق، كان للثقافة العربية الإسلامية اهتمام مماثل، اهتمام بدراسة ثقافة الآخرين من أجناس الشمال والجنوب والشرق والغرب، وفي سياق هذا الاهتمام تشكل في الثقافة العربية الإسلامي تراث ضخم وأرشيف بالغ الثراء عن الأسود أو الزنجي»[2]

فالاستفراق (Africanisme)، هو دراسة الثقافة العربية الإسلامية أو غيرها بتراث وثقافة أهل إفريقيا من السود والزنوج، من خلال البحث في عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم، وطرق عيشهم وحياتهم، ومأكولهم وملبوسهم، وكذا دراسة أديانهم ومعتقداتهم، فقد تشكلت في العقلية والثقافة العربية صورة نمطية عن السودان والزنوج، ولم يكن ذلك وليد العصر الحاضر، بل إنه امتد على مدار القرون الماضية، «ومن دلائل هذا التواتر والاطراد في تمثيلات الأسود في المتخيل العربي أنك لا تجد اختلافا مميزا وذا شأن في هذه التمثيلات بين ما كتبه مؤلف في القرن الثالث الهجري وبين ما كتبه آخر في القرن الخامس

[1] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص 168.

[2] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص 44.

أو السادس أو السابع أو الثامن، لقد أصبح لهذه التمثيلات تقلد ثابت مفروض على كل من يريد الحديث عن السودان أو الكتابة عنهم، وأصبح لهذا التقليد لغته الخاصة ومجازياته المميزة»[1]

ورغم ذلك فإن "نادر كاظم" يستثني بعض المؤلفات التي خالفت القاعدة المعروفة في المتخيل العربي تجاه السود، وخرجوا عن التقليد الجماعي ولم يلتزموا به، بسبب أنهم مدحوا السودان وربما فضلوهم في بعض الأحايين على البيض، ما جعلهم محل رفض ومواجهة وسخرية، وهو ما نجده مثلا لدى كل من أبي العباس الناشئ الأكبر، الشاعر العباسي الذي ألف "رسالة في تفضيل السودان على البيض" وأبي العباس محمد بن خلف بن المرزبان، الذي له كتاب "السودان وفضلهم على البيضان"، فتعرض للتهكم والسخرية، والذي يقول عنه السيوطي: «فقد ألف جماعة من الأدباء في التفضيل بين البيض والسمر، وقد خالف "ابن المرزبان" فألف كتاب "السودان وفضلهم على البيضان"، ولا أستكثر هذا عليه، فإنه ألف كتاب "تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب"، فإذا فضل الكلاب على بني آدم، لم يكثر عليه أن يفضل السودان على البيضان»[2]

فكل من يخالف التقليد المتعارف عليه يواجه بالسخرية والاعتراض، وهو ما يبين لنا أن الصورة النمطية عن السودان في الثقافة العربية الإسلامية لم تتغير على مر العصور، وأنهم (أي السود) أقل شأنا وقيمة من البيض، وهذا ما يشكل مرجعية راسخة في الخطاب الاستفراقي العربي، وقد ميز الكاتب بين نوعين من الاستفراق، أحدهما استفراق كامن والآخر استفراق ظاهر، فالظاهر منهما هو: «الميدان الذي يحتمل التغير من فرد إلى آخر، ومن مجال إلى آخر، ومن عصر إلى آخر، وذلك تغير ينحصر في طريقة الكتابة أو الحديث عن السودان والزنوج، أما الاسفراق الكامن فهو الميدان ذو الطابع الإجتماعي، إنه تقليد يحتفظ بمجموعة من الصور النمطية عن السود ثابتة ومستقرة لا تكاد تتغير»[3]

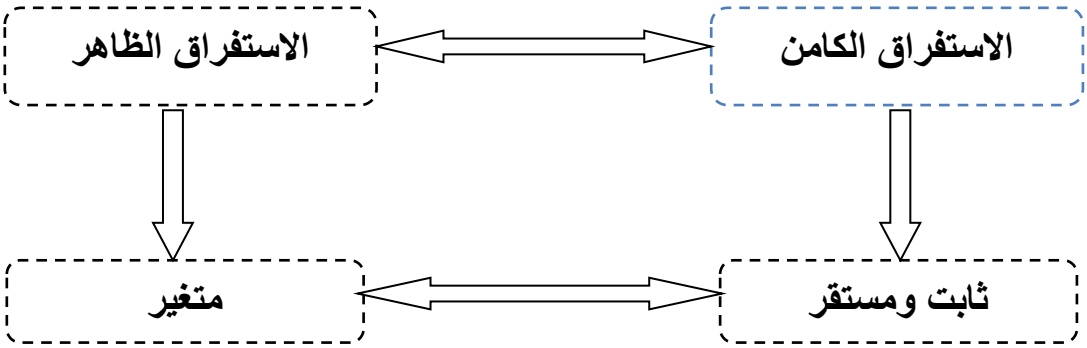

[1] المرجع نفسه، ص 170.

[2] السيوطي جلال الدين، نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسود والسمر، تح: سمير حسين حلبي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 13.

[3] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص 172.

ويورد المؤلف عددا من الأمثلة التي توضح مسألة الاستفراق الكامن، الذي يجعل من السود أمة لا تفقه شيئا، من ذلك مثلا ما جاء في تفسير القرطبي لآية الكهف: ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا﴾ [سورة الكهف؛ 90]، فقد جاء في تفسيره أن القوم الذين تقصدهم هذه الآية هم من السودان أو الزنج، وقد ذكرهم قتادة بقوله: «يقال لها الزنج، هم تارس وهاويل ومنسك، حفاة عراة عماة عن الحق، يتسافدون مثل الكلاب، ويتهارجون تهارج الحمر»[1]

ومن ذلك أيضا قول حسان بن ثابت (رضي الله عنه):[2]

أولاد حام فلن تلقى لهم شبها إلا التيوس على أكتافها الشعر

لم ينبتوا فرع خير يذكرون به حتى ينبت عود النبعة الكمر

إن سابقوا سبقوا أو نافروا نفروا أو كاثروا أحدا من غيرهم كثروا

شبه الإماء فلا دين ولا حسب لو قامروا الزنج عن أحسابهم قمروا

ويناقش المؤلف ما جاء من آراء بخصوص أحوال السودان والزنج، وهو ما جاء مثلا في مؤلفات العصور الوسطى مثل كتب كل من المسعودي، والسيرافي، وابن خلدون، والعصر الحديث مثل تخليص الإبريز للطهطاوي، وقسطاكي الحمصي في كتله "منهل الوراد في علم الانتقاد، وغيرهم من المؤرخين والرحالة والأدباء الذين غالبا ما ساروا على الخط نفسه المعتمد على ما ذكرنا من التمثيل العربي للسود المعتمد على مرجعية واحدة تشكل المتخيل العربي، كما أشار إلى ما ذكره كل من الجاحظ في مؤلفاته مثل البيان والتبيين، وأبي حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة، فقد ذكر هذا الأخير في الليلة الرابعة عشر من كتابه بعض أحوال الأمم، وكان وصفه للزنج بقوله: «وأما الزنج والسودان فغلبت عليهم الفسولة وشاكلت البهائم الضعيفة، كما شاكلت الترك السباع القوية»[3]

4 الزنجي والطرب

ومن الصور النمطية عن السودان ما ذكره "نادر كاظم" بخصوص الموروث الإغريقي البطليموسي، أو ما يعرف ب"الأقاليم السبعة"، إضافة إلى أبحاث أرسطو الأخلاقية والسياسية، وطب كل من أبقراط

[1] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1427ه / 2006م، ج 13، ص 375.

[2] حسان بن ثابت، الديوان، تح عبده مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1414ه / 1994، ص 137.

[3] التوحيدي أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، تح: هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، صيدا، بيروت، 1432ه – 2011م، ص 147.

وجالينوس، نقول ذلك لأن التصور العربي حول إفريقيا يدور في فلك بطليموس وجالينوس وأبقراط، لذلك نجد المؤلفين العرب في العصور الوسطى بستمدون معارفهم عن السودان والزنوج وصفاتهم الجسمانية والأخلاقية مما أورده "جالينوس" بهذا الخصوص، وهوما يعرف بالخصال العشرة التي اجتمعت فيهم ولم تجتمع في غيرهم، وقد نقلها العديد من المؤرخين، ومنهم على سبيل المثال المسعودي في مروج الذهب، وهذه الخصال هي: «تفلفل الشعر، وخفة الحاجبين، وانتشار المنخرين، وغلظ الشفتين، وتحديد الأسنان، ونتن الجلد، وسواد الحدق، وتشقق اليدين والرجلين، وطول الذكر، وكثرة الطرب، قال جالينوس: وإنما غلب على الأسود الطرب لفساد دماغه، فضعف لذلك عقله»[1]

فقد جاء في مختلف المصادر التاريخية التي ذكرت السودان والزنوج الصفات الجسمانية والأخلاقية والاجتماعية التي عددها عشرة مع اختلاف وتباين في بعض منها، لكن يبقى الرقم عشرة حاضرا في كل منها، وجميعها مأخوذ من كتب "جالينوس" في الطب المترجمة إلى العربية، مثل كتاب "منافع الأعضاء"، و"العادات"، و"المزاج"، و"أفضل الهيئات"، وغيرها، إذ نجد القزويني في كتابه "آثار البلاد" يذكر للزنج صفات عشرة تختلف في بعض منها عما أورده المسعودي، وهي: «قال جالينوس: الزنج خصصوا بأمور عشرة: سواد اللون، وفلفلة الشعر، وغلظ الشفة، وتشقق اليد والكعب، ونتن الرائحة، وكثرة الطرب، وقلة العقل، وأكل بعضهم بعضا، فإنهم في حروبهم يأكلون لحم العدو، ومن ظفر بعدو له أكله، وأكثرهم عراة لا لباس لهم، ولا يرى زنجي مغموما، الغم لا يدور حولهم والطرب يشملهم كلهم، قال بعض الحكماء: سبب ذلك اعتدال دم القلب، وقال آخرون، بل سببه طلوع كوكب سهيل عليهم كل ليلة فإنه يوجب الفرح»[2]

ومن هذه الصفات العشر التي ذكرها المؤرخون نلاحظ أن من بينها صفة "الطرب" التي ربطها بعضهم بفساد الدماغ وضعف العقل، والبعض الآخر (مثل القزويني) أرجعها إلى اعتدال دم القلب، وطلوع كوكب سهيل، وقد أشار المؤلف إلى أن "الطرب" الملازم للزنج إنما يرجع سببه إلى أصل جسماني، من أجل إثبات حيوانية السود، يقول في ذلك: «إن إرجاع هذه الخصلة إلى أصل جسماني أمر وارد خصوصا في ضوء المعطيات الطبية الإغريقية ... وفي المقابل، فإن إرجاع الخصال الجسمانية إلى دلالة نفسية أو أخلاقية واجتماعية أمر ممكن بالاستعانة كذلك بمعطيات الطب وعلم الأخلاق الإغريقيين ... فلون البشرة مثلا له دلالته المعنوية والنفسية، وفي المقابل، فإن صفات الحمق والغباء وسوء الخلق تفترض خصالا جسمانية معينة»[3]

---

[1] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص 193.

[2] القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت، د.ط، د.ت، ص 22-23.

[3] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص194-195.

وقد عالج المؤلف الارتباط الوثيق بين خصلة "كثرة الطرب" في السودان والزنوج، وبين اللهو والفسوق والغناء في المتخيل العربي الوسيط، حيث يذكر في ذلك بعض الآثار المتعلقة بمسألة استعمال السود للغناء والطرب واللهو والرقص، ورجع في ذلك إلى ما أورده كل من اليعقوبي والجاحظ وابن بطلان وابن خلدون، وغيرهم ممن ذكر بعض السود في الثقافة العربية وعلاقتهم بالطرب والغناء مثل "ابن مسجح"، و"معبد بن وهب"، وعلاقة الرامزة بالإماء الزنجيات، لأنهن مطبوعات على الإيقاع، فالإيقاع فطرة لهن وطبع فيهن ... ومما نقله المؤلف عن اليعقوبي قوله إن: «كنعان بن حام بن نوح هو أولمن رجع من ولد نوح إلى عمل بني "قابيل"، فعمل الملاهي والغناء والمزامير والطبول والبرايط والصنوج، وأطاع الشيطان في اللعب والباطل»[1]

فالمؤلف يناقش مسألة العلاقة بين السود والزنج وكثرة الطرب كخصلة من خصالهم العشر التي غلبت عليهم، وقد أشار إلى العديد من الآراء المتعلقة بذلك والتي استمدت في الغالب من كتب الإغريق الطبية المترجمة – كما ذكرنا سابقا – حيث ارتبط ذلك بتفسيرين: أحدهما طبي (اعتدال دم القلب – تفشي حرارة القلب بسبب بخار الروح الذي يداخله – اعتدال الحرارة) - والآخر فلكي (طلوع نجم سهيل عليهم) «لقد انصبت جهود التفسير والتعليل ... على تأكيد السبب الطبيعي الداخلي (الحتمية البيولوجية) أو الخارجي (الحتمية الفلكية) لإثبات حيوانية السودان، وهم في ذبك يتجاهلون التفسير الثقافي والاجتماعي لهذه الظاهرة، أو الحتمية الثقافية التي حكمت حياة السودان في الثقافة العربية، إن اختصاص السودان والزنوج بالطرب والغناء والرقص ... قد يرجع أيضا إلى سبب خارجي لكنه ذو طابع ثقافي أو اجتماعي، ويتمثل في تأثير ظروف الرق وثقافة العبودية في نفوس هؤلاء السودان المرهقين»[2]

[1] المرجع نفسه، ص 195.

[2] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص 202-203.

المبحث الثاني: الأسود والتمثيل الثقافي التخييلي

بعد دراسة بعض النقاط التي عالجها المؤلف "نادر كاظم" في كتابه كتاب "تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط"، من خلال ما تمت مناقشته في المبحث الأول من هذا الفصل، ننتقل إلى المبحث الثاني الذي سنحاول من خلاله دراسة أبرز ما جاء من قضايا في الباب الثاني من الكتاب، بعنوان: الأسود والتمثيل الثقافي التخييلي، والذي خصصه "نادر كاظم" للكلام عن السودان في المتخيلين السردي والشعري العربيين، وذلك من خلال دراسة بعض النماذج السردية التراثية التي اتخذت من الرجل الأسود أحد شخصياتها ضمن الحكاية الشعبية، كسيرة بني هلال، وسيرة الأميرة ذات الهمة، مع الإشارة إلى الأسود بين الآخرية التاريخية والآخرية العجائبية، وهو ما تمثل في كل من سيرة عنترة بن شداد وسيرة سيف بن ذي يزن، إضافة إلى توظيف السودان في بعض حكايات ألف ليلة وليلة، وهو ما يمثل الفصل الثالث من الكتاب.

أما الفصل الرابع فقد خصصه المؤلف للحديث عن التمثيل الثقافي التخييلي للسود في الشعر العربي، وذلك بدراسة بعض النماذج التي جسدت خطورة الخطاب الشعري في مسألة التخييل والتمثيل، مثل شعر كل من ابن الرومي، والمتنبي، هذا الأخير الذي اشتهر بشعر الكافوريات، سواء في مدحه أو في هجائه لكافور الإخشيدي، كما خصص المؤلف حيزا كبيرا لشعر الشعراء السود مثل عنترة بن شداد، ونصيب بن رباح، وأبي دلامة، وسحيم عبد بني الحسحاس، والحيقطان وسنيح، وغيرهم.

وقد مهد المؤلف لذلك بمدخل أبرز فيه الأدب بوصفه تمثيلا ثقافيا، وذلك من خلال مقارنة الأحداث التاريخية التي يذكرها المؤرخون عن الشخصيات كما وقعت بالفعل، وبين تصوير الشخصيات نفسها ضمن السير الشعبية أو الشعر، وقد ذكر أنه سيقوم بتحليل تمثيلات السودان في الإنتاج العربي السردي والشعري ضمن مستويات ثلاث، هي: التمثيل العربي الجماعي، التمثيل العربي الفردي، التمثيل المضاد:[1]

[1] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص 287.

التمثيل العربي الجماعي	يظهر في الأعمال السردية الكبرى مجهولة المؤلف، والمنسوبة بذلك إلى المؤلف الجماعي كما هو حال السير الشعبية (سيرة الأميرة ذات الهمة، وسيرة عنترة بن شداد، وسيرة الملك سيف بن ذي يزن، والسرديات العجائبية مثل ألف ليلة وليلة.
التمثيل العربي الفردي	يتجلى في شعر شعراء محددين اشتبكوا مع الآخر الأسود بشكل جماعي مثل ابن الرومي بعد ثورة الزنج وخراب البصرة، أو بشكل فردي مثل المتنبي مع كافور الإخشيدي
التمثيل المضاد	يعبر عن رغبة الشعراء السودان من داتخل الثقافة العربية الإسلامية في تمثيل أنفسهم بأنفسهم، أو في محاولتهم جعل العربي بوصفه "آخر" موضوعا للتمثيل.

1 السرد وعبور الحدود

السرد لغة:

جاء في لسان العرب: «السرد في اللغة: تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعا. سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيد السياق له، وفي صفة كلامه، صلى الله عليه وسلم: لم يكن يسرد الحديث سردا أي يتابعه ويستعجل فيه، وسرد القرآن: تابع قراءته ... والسرد المتتابع، وسرد فلان الصوم إذا والاه وتابعه ... والثلاثة السرد: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ... والمسرد: المثقب، والمسرد: اللسان»[1]

يقول ابن فارس: «السين والراء والدال أصل مطرد منقاس، وهو يدل على توالي أشياء كثرة يتصل بعضها ببعض، من ذلك السرد: اسم جامع للدروع وما أشبهها من عمل الحلق، قال الله جل جلاله، في شأن داود عليه السلام: ﴿وقدر في السرد﴾ [سورة سبأ: 11] معناه: ليكن ذلك مقدرا ... والمسرد للخرز: قياسه صحيح»[2]

فالسرد في اللغة له عدة معان منها:– النسج – الخرز - التتابع – التلازم – اللسان.

اصطلاحا:

والسرد في الاصطلاح يتمثل في الحكي الذي يتعلق بحدث قد يكون حقيقيا أو خياليا أو أكثر يقوم بتوصيله عدد من الرواة لعدد من المروي لهم، ولكي لا يكون السرد مجرد وصف حدث، قام بعض

[1] ابن منظور، مصدر سابق، مادة (س ر د)، ج 3، ص 211.

[2] ابن فارس، مصدر سابق، ج3، ص 157-158.

السرديين بتحديده بوصفه سردا، على الأقل، لحدثين حقيقيين أو خياليين لا يقتضي أحدهما منطقيا أو يستلزم وجوده الآخر، ولكي يتم التفريق بينه وبين سرد سلسلة عشوائية من المواقف والأحداث، جادل السرديون أيضا بأن على السرد أن يضم موضوعا متصلا ويشكل كلا[1]

وقد ذكر "جيرار جينيت" السرد ضمن مستويات مختلفة تشمل ما يلي[2]:

- المستويات السردية التي تندرج فيها أفعال السرد، فقد يكون السرد من درجة أولى أو ثانية أو ثالثة.
- وأزمنة السرد وهي تختص بعلاقة زمن السرد بزمن الحكاية فهل هو بعدها أم هل هو قبلها أم هل هو مزامن لها؟
- وعلاقة الراوي بالحكاية التي يرويها: هل يسرد ما عاشه من أحداث أم هل هو يسرد أفعال الآخرين.

وبالعودة إلى كتاب "تمثيلات الآخر"، نجد أن "نادر كاظم" كان مدركا للدور الذي يلعبه السرد في تمثيل الآخر، وهو بذلك حركة في الفضاء وارتحال خارج حدود الذات الثقافية، لأنه يروي لنا عادات الشعوب والأم ومعتقداتها وغير ذلك مما نجده مبثوثا في الرحلات وكتب المغازي والفتوحات، والحكايات الشعبية، «ومما يعزز هذا التفسير أن أبرز الأنواع السردية العربية ارتبطت ارتباطا وثيقا بالسفر والرحلة واللقاء بالآخر؛ فالسفر حاضر بكل أشكاله في مقامات الهمذاني ... والسفر حاضر كذلك في السير الشعبية، بحيث لا تكاد تخلو سيرة شعبية من السفر والتنقلات، التجولات والارتحالات والاغترابات أو التغريبات ... أما ألف لبيلة وليلة فإنها تزدحم بأسفار شخصياتها وتنقلاتهم وارتحالاتهم»[3]

فهو يشير إلى أن أغلب النصوص السردية تشتمل على السفر والارتحال عبر العديد من الأمكنة، وهو ما يتيح للقارئ اكتشاف عوالم متنوعة وثقافات متعددة، بمعنى أنه السرد فن أدبي عابر للحدود، نستكشف من خلاله الآخر، ونتعرف على ثقافته، فالمتخيل العربي بإمكانه تمثيل الآخر سرديا عبر الفنون السردية من رحلة ومقامات وسيرة شعبية أو عجائبية، وهو ما نجد له مئات النماذج في العصر الوسيط، مثل كتب المغازي والفتوح والمقامات والحكايات الشعبية التي سنورد بعضا منها هنا.

ويؤكد المؤلف على العلاقة الوطيدة بين السرد والمتخيل، فالسرد في حد ذاته ناتج عن المتخيل، وداعم له، وبذلك فإن بينهما علاقات دعم وتأثير وتبادل وتشابك، لأن المؤلف سواء كان فردا أو جماعة،

[1] ينظر؛ جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2003م، ص 122-123.

[2] مجموعة مؤلفين، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2010، ص 244.

[3] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص 305-306.

غالبا ما يوظف مخيلته في إضفاء نوع من العجائبية أو على نصه، أو إضفاء هالة من البطولة والشجاعة على أبطال حكايته، بغية جذب القارئ وإدهاشه وتسليته، فرغم وجود الحكاية تاريخيا في بعض الأحيان، إلا أن المخيال العربي الجمعي يحولها إلى سيرة شعبية مليئة بالمغامرات والأحداث المتشابكة، التي يخوض البطل في غمارها عددا من المواجهات بين أعداء من وحي الخيال، كما يتعرف على ثقافة الآخر في رحلته.

وقد ذكر المؤلف أن النصوص السردية التي سيدرسها تختلف عن تلك التي أشار إليها "إدوارد سعيد" عندما تحدث عن الرواية الغربية في القرن التاسع عشر، «ويكمن الاختلاف أساس في أن المرويات السردية المدروسة هنا مرويات مجهولة المؤلف، وهي بذلك إما أن تكون خاضعة مباشرة لسلطة المجتمع وسياقاته، وسلطة اللحظة التاريخية وإكراهاتها، وإما أن تكون متحررة من كل السلطات، ومن ثم قد يتاح لها فرصة تشكيل موضوع سردها بحرية مطلقة دون إكراه من مؤلف أو مجتمع، غير أن ثم احتمالا ثالثا لهذه الظاهرة ... وهو قراءتها بوصفها حيلة من حيل المتخيل الشعبي للتحرر من قيود المجتمع وضوابطه المفروضة على القول والكتابة»[1]

2 الأسود في التمثيل السردي

قام المؤلف "نادر كاظم" بدراسة بعض النصوص السردية ممثلة في السير الشعبية، ومنها "سيرة بني هلال" لأنه تتضمن شخصية ذات لون أسمر، حيث يذكر الراوي أن الأمير "رزق" بعد زواجه من "خضرا" ولدت له بنتا سموها "شيحة"، فأنشأ الأمير يطلب من الله أن يرزقه ولدا ذكرا «بعد ذلك حملت امرأته وكانت تطلب من الله أن يرزقها ولدا ذكرا، وخرجوا مرة إلى بستان فرأت غرابا أسود يطرد الغربان ويقهرهم ويفتك بهم، فقال: إلهي أسألك أن ترزقني ولدا ذكرا ولو كان لونه أسود لعله ينشأ يغلب الفرسان ويقهرهم مثل هذا الغراب ... فلما فرغت من دعائها عادت إلى الديار، وعند تمام الحمل أتاها الطلق فوضعت غلاما أسمر اللون، وراح المبشر إلى الأمير رزق وبشره بالغلام، ففرح به وذبح الذبائح، وأقبل الناس يهنئونه وسألوه عن اسمه فقال: بركات»[2]

لكن بعد أن رأى المولود ولونه الأسود تغيرت حاله من فرح إلى شك، ويعلق المؤلف يساءل عن عدم ذكر رؤية الأمير للغلام قبل الأيام السبعة، وقبل أن يطلق فرحه؟ وبناء على ذلك يقول: «وإذا صح هذا الافتراض فهو يفضي إلى الاعتقاد بأن الأمير رزق كان أيضا راضيا وغير مصدوم بسواد ابنه، لكنه صدم

[1] المرجع نفسه، ص 307.

[2] سيرة بني هلال، المكتبة الشعبية، بيروت، ط1، 1981، ص 27.

حين سمع كلام سرحان الذي اتهم فيه الخضراء بالخيانة مع عبد أسود، مما يعني أن صدمة الأمير رزق لم تكن من كون ابنه أسود اللون ... إن الصدمة كانت بتأثير من تهمة الخيانة مع عبد أسود، وهو الأمر الذي يم يحتمله الأمير رزق، فتسرع بتطليق امرأته»[1]

فسواد اللون لدى الغلام بركات شكل محور الأحداث في الحكاية الشعبية الهلالية، بوصفه دافعا للرفض، وعدم الرضا، وهوما جعل الأبوين ينفصلان، ويذهب كل منها إلى حال سبيله، انطلاقا من المتخيل العربي عن اللون الأسود باعتباره – في حالة كهذه – يحدث ارتيابا وشكا لا يمكن إخفاؤه، «يبقى أن نقول إن جعل بركات، بطل السيرة أسمر أو أسود اللون لا يعبر عن رغبة حقيقية في طرح قضية اللون ومناقشتها على نحو مستفيض من أجل تقويض التصورات النمطية المخزونة في المتخيل العربي، بل إن الأمر لا يعدو كونها معضلة عابرة فرضها الالتزام بالوحدات الحكائية المطردة في السير الشعبية، حيث البطل لا بد أن يواجه معضلة في بداية حياته، وشاء الراوي أن تكون معضلة أبي زيد مرتبطة بلونه الأسود»[2]

أما في حكاية الأميرة ذات الهمة، فيحكي الراوي أن الحارث بن ظالم كان يحب أن يتزوج من ابنة عمه ذات الهمة بنت مظلوم، لكنها كانت كارهة لهذا الأمر، حتى إذا اجتمع القوم في حضرة الخليفة المنصور طلب الحارث من الخليفة أن يتوسط بينهما ففعل، غير أنها امتنعت، واستغل عقبة السلمي (شيخ الضلال) هذا الوضع فطلب من القاضي أن يعقد النكاح ففعل والأميرة تأبى ذلك، لكن الأمر قضي، إلا أن الأميرة لم تسمح للحارث بمقاربتها ولا حتى برؤيتها، فشكا الحارث همه إلى عقبة الذي دبر له حيلة وهي أن يرشو مرزوق (العبد وأخو الأميرة من الرضاعة)، فقدم لها شرابا به دواء مخدر، ولما استيقظت الأميرة عرفت ما جرى لها فغضبت وقررت قتل مرزوق والحارث معا، ومضت الأيام إلى أن ولدت غلاما لونه مثل الليل المعتكر، أسود، أغبر، مفتول الذراعين، أسود العينين، أزج الحاجبين[3].

حيث نلاحظ أن حكاية الأميرة ذات الهمة – هي الأخرى – تستند في أحداثها على اللون الأسود باعتباره لعنة تلاحق أهله، وتتسبب في نشوب أحداث وصراعات مستمرة، بين المسلمين والروم، إذ أن ولادة هذا الطفل الأمير "عبد الوهاب" أسود اللون يعد في حد ذاتها مجلبة للعار والشك والارتياب، - كما حدث في سيرة أبي زيد الهلالي - وهو ما لم تستطع الأميرة إقناع النسوة بأنه أمر إلهي لا دخل لها فيه، وليس ناتجا عن فعل مشين، ورغم إخفائها لأمر سواده والزعم بوفاة الابن إلا أن الألسنة سرعان ما تناقلت خبر حياته وسواد لونه ما جعل الأحداث تتأزم بين الطرفين.

[1] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص 317.

[2] المرجع نفسه، ص 326.

[3] ينظر؛ نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص 329.

ومن الحكايات الشعبية التي قامت باستثمار اللون الأسود كمحرك لمختلف الأحداث ولكن بطريقة مختلفة عن السيرتين السابقتين، نجد كلا من سيرة عنترة بن شداد وحكاية سيف بن ذي يزن، ففي سيرة عنترة نجد أن والده "شداد" لم يكن له أي اعتراض على لونه الأسود، لذلك فقد كان في منأى عن "صدمة الولادة" التي تلقاها الأبوان في بني هلال والأميرة ذات الهمة، لأنه من غير المعقول في العرف الجماعي، أن يكون الولد أسود اللون في حين أن أبوين من أصحاب البشرة البيضاء، أما في قصة عنترة فهو أصلا ابن أمة سوداء، فلا غرابة في الأمر، يقول المؤلف: «ليس معنى هذا أن سيرة عنترة بن شداد خلت من صدمات الولادة ... فالغضنفر ولد لعنتر من مريم بنت بلقام أخي القيصر، ولكن هذا الأخير حين رأى الغضنفر نفر من لونه ... كما أن ثلاثة من أبناء عنتر (الغضبان، غضوب، ميسرة) لم يعترف ببنوتهم خشية العار والفضيحة، ومع ذلك فإن السيرة لم تخل من ردود فعل شبيهة برد فعل الخضراء أم بركات، والأميرة ذات الهمة أم عبد الوهاب»[1]

ويذكر المؤلف أن سيرة عنترة تحوي تنوعا في الآخر، حيث لم يقتصر الأمر على السواد فقط، بل شكلت أحداثها مزيجا من الصراعات التي واجهها البطل "عنترة" من خلال مواجهته لكل من بني قحطان من عرب الجنوب، وبن نبهان، لذلك فإن الآخرية في سيرة عنترة تتحدد إما على أساس قومي، وإما على أساس ديني، أو على أساس قومي وديني معا، «وأبرز هؤلاء الآخرين هم المناذرة في العراق، والغساسنة في الشام، والفرس عبدة النار في فارس، والروم عبدة الصلبان في القسطنطينية، والإفرنج النصارى فيما وراء القسطنطينة في الأندلس وجزائر الواحات، وجزيرة البلور، وفي برقة وتونس والقيروان، والإسكندرية والديار المصرية، والنوبة والنجاة، وبلاد السودان والحبشان، وعبدة الشجرة ذات الأنوار، والهنود، ويهود خيبر»[2]

أما في سيرة "سيف بن زي يزن"، فإنها تبنى على ما رواه "يثرب" وزير "ذي "يزن"، الذي وجد هذا الوزير في الكتب والملاحم القديمة أنه لا بد لملك من ملوك التبابعة أن يكون على يده نفاذ دعوة نوح – عليه السلام -، ورأى أن من تتحقق على يديه الدعوة هو ملك من صلب "ذي يزن"، فعلى يد هذا الملك يظهر دين الإسلام، ويأمر الناس بعبادة الملك العلام، ويكون جميع الحبشة والسودان غلمانا وخداما لأولاد سام بن نوح – عليه السلام –، أما أول إشارة إلى دعوة نوح – عيه السلام - على ولده حام، فتعود إلى ما رواه "سقرديس" وزير "سيف أرعد" ملك الحبشة، بقول النبي نوح - عليه السلام – بعدما رأى خصام ولديه

[1] المرجع نفسه، ص 348-349.

[2] المرجع السابق، ص 356.

"سام" و"حام" فنظر على ولده حام وهو مغضب، وقال: "سود الله وجهك ونسلك وجعل نسلك وذريتك خداما عبيدا لذرية سام ابن أمك وأبيك"[1]

وقام المؤلف بتحليل النبوءة، وذكر ما جرى للملك سيف بن ذي يزن مع السودان والأحباش، وأنه لم يكن يهدف إلى استعبادهم، بل كان هدفه نشر الإسلام وإزالة عبادة وحل والنيران، ويتجلى ذلك من خلال أحداث السيرة التي ساهمت في دحض مسألة قيام معيار الآخرية على أساس عرقي، أو لوني، فالملك لم يكن في مواجهة السودان والحبشان بقدر ما كان حريصا على مواجهة الكفار المشركين من عابدي النار وزحل، سواء كانوا من السودان أو من البيضان، وهي بذلك شبيهة بسيرة الأميرة ذات الهمة، ذلك أن الراوي فيها يتحدث عن السودان بوصفهم جزءا من عساكر الإسلام، ويصفهم بالأنجاب والكرام، وبناء على ما جاء في سيرة الملك سيف بن ذي يزن ف «إن السودان الحاميين، في نهاية السيرة، لم يصبحوا عبدا لذرية سام، ولم يكن سيف بن ذي يزن يهدف إلى استبعادهم بقدر ما كان يهدف إلى نشر دين الإسلام بينهم، وهو الهدف الذي حدده الراوي منذ افتتاحية السيرة حين قال: "فهذه قصة الأمير سيف بن ذي يزن مبيد الكفرة أهل الشرك والمحن، في سائر الأمصار والدمن، ومخمد الأسحار والفتن»[2]

3 الشعر وخطورته في التمثيل

الشعر ديوان العرب، وهو خطاب ذو تأثير قوي، استعمله العرب قديما في الذود عن القبيلة وهجاء الأعداء، ومدح المقربين والحكام، رجاء نوالهم وعطائهم الذي كان جزيلا في أغلب الأحيان، لذلك فإن التمثيل بواسطته لا يقل خطرا عن التمثيل السردي، وقد عرف المتخيل العربي الوسيط العديد من النماذج الشعرية التي اتخذت من السواد كنسق ثقافي مجالا لها، وقد اتخذ العديد من الرموز والمعاني المرتبطة بالمناسبات التي قيلت فيها تلك القصائد، لذلك فإن الشعر لم يتخذ السواد دائما كمعيار ورمز ثقافي سلبي، بل إن هناك العديد من الشعراء السود الذين تركوا لنا إرثا شعريا لا يستهان به، وهو ما أشار إليه المؤلف بالتمثيل المضاد.

وهذا ما قام المؤلف "نادر كاظم" بدراسته في الفصل الرابع من كتابه "تمثيلات الآخر"، حيث عرض لمفهوم الشعر كخطاب يمارس التمثيل بطريقة جمالية، من حيث النفاذ إلى نفوس القراء والمستمعين والتأثير فيهم، لذلك يمكن اعتبار الشعر السجل الثقافي للقبيلة أو القوم، فهو خزان لعلمهم وديوان لأخبارهم، ومسجل لأيامهم، ومخلد لمآثرهم، وقام بتحليل بعض النماذج الشعرية التي اتخذت من السود موضوعا لها.

---

[1] بنظر؛ المرجع نفسه، ص 387-388.

[2] المرجع نفسه، ص 392.

وقد ذكر المؤلف نوعا من العنف في الثقافة العربية الإسلامية تمارسه على الآخر الأسود، وهو العنف الأيديولوجي الرمزي، ولعل ذلك ناتج عن استرقاق السود واستعبادهم بالضرب المبرح من أجل الإخضاع والقمع، «وفيما يتعلق بهذا النوع من العنف الشعري المباشر من خلال الهجاء والتحقير الصرح، فإن أي قارئ للشعر العربي القديم والوسيط سيكتشف أن هذا الشعر اتسم بالحدة والعنف ورفض قبول الآخر الأسود، بل إنه كان من أقوى أدوات عزل السودان واستبعادهم وتحقيرهم، بل ثمة من يذهب إلى أن هذا الشعر هو الذي ورث هذه الحدة والعنف لأشكال التعبير الأخرى تباعا بعد أن استقرت الصورة الاجتماعية في قلب المجتمع الطبقي نفسه»[1]

4 الأسود في التمثيل الشعري

على عكس التمثيل السردي للسودان والزنوج، فإن الشعر العربي الوسيط حفل بالعديد من النماذج التي تدل على تنوع في التمثيل، والنظرة إلى السود، حيث لم يقتصر الأمر على تحقيرهم وهجائهم والحط من قيمتهم داخل المجتمع الثقافي الذي يعيشون فيه، وإن كان الغالب في ذلك هو الإقصاء والإخضاع الذي تمارسه ذات الشاعر تجاه الآخر، «لقد تم استبعاد الأسود في الواقع، كما قام التمثيل الثقافي غير التخييلي بتبرير هذا الاستعباد، وبقيت مهمة القام بدور تطبع هذا الاستعباد وتلطيفه وتجميله موكلة إلى التمثيل الثقافي التخييلي، والشعر أبرز أشكال هذا التمثيل وأبعدها تأثيرا، والجمع بين التحقير والتجميل، أو بين قبح موضوع التمثيل وجماله في خطاب واحد ليس جمعا مستحيلا أو مستعصيا، بل هو ضرب من ضروب التواطؤ بن الهيمنة والجماليات ... فالنظرة الدونية إلى الآخر كموضوع للتحليل العلمي، ونظرة التقدير إلى الآخر كصنم جمالي ليستا متناقضتين بقدر ما هما متواطئتان»[2]

وقد ذكر المؤلف العديد من الأمثلة على التمثيل الشعري للسود في المتخيل العربي من ذلك مثلا ما قاله أحدهم في جارية سوداء اسمها "حلوة" اختطفها الموت[3]:

خلني من ذكر علوه ليس لي في البيض شهوه
وأعد لي ذكر سودا ء لها عندي حظوه
لونها الأسود يزهو إن بدت في بيض نسوه
فهي سوداء لديها ليس للبيضان جلوه
عقبت وصلي بهجر بدل الرقة جفوه
وخطا الدهر إليها بالمنايا أي خطوه

[1] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص 434.
[2] المرجع نفسه، ص 437
[3] المرجع نفسه، ص 440-441.

ليتني متّ ليبقى لي بها في الموت أسوه

يا عذولي ليس لي عن حبها ما عشت سلوه

لا تسل عن عيشةٍ لي مرةٍ بعد حلوه

ومن الأمثلة التي ذكرها الكاتب بخصوص ذم العبيد قول الفرزدق[1]:

وخير الشعر أكرمه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد

كما أشار نادر كاظم إلى قول بشار في التغزل بسوداء[2]:

وغادةٍ سوداء براقةٍ كالماء في طيبٍ وفي لين

كأنها صيغت لمن نالها من عنبرٍ بالمسك معجون

وهو نفسه الذي قال في الزنج أقذع الصفات:[3]

إذا شبع الزنجي سب إلهه وألبب من زنج علي ونوب

سروقا لما لاقى طروبا إلى الزبى وهل تجد الزنجي غير طروب

أفيقوا بني الزنجي إن سبيلكم سبيل أبيكم لحمه لكلوب

ومولى أبيكم فاطرحوه لأكلبٍ ولا تدفن الزنجي بين ربوب

ومن النصوص الشعرية التي قام الكاتب بدراستها تحليلها لارتباطها الوثيق بثورة الزنج التي وقعت في زمن العباسيين وأدت إلى خراب البصرة، قصيدة ميمية للشاعر "ابن الرومي"، التي وصفت بكونها «نصا موتورا غاضبا أنشئ بغاية التحريض ضد الثورة، واستخدم ابن الرومي فيها كل براعته الشعرية من أجل تعبئة المستمعين واستنفارهم ضد الوحشية الزنجية، ولقد عبر فيها عن موقف السلطة العباسية وحذا فيها حذو خطابها، فسلك مسالكه، واستخدم استراتيجياته جميعها من تضخيم لخراب البصرة، وصمت عن خراب السلطة، وتصوير للصراع في صورة دينية وعنصرية»[4]

يقول ابن الرومي[5]:

ذاد عن مقلتي لذيذ المنام شغلها عنه بالدموع السجام

أي نومٍ من بعد ما حل بالبصـ رةِ من تلكم الهنات العظام؟

أي نومٍ بعدما انتهك الزنـ ج جهارا محارم الإسلام؟

[1] المرجع نفسه، ص 443.

[2] المرجع نفسه، ص 444.

[3] المرجع نفسه، ص 444.

[4] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص 461.

[5] ينظر؛ المرجع نفسه، ص 462-463.

إن هذا من الأمور لأمر ... كاد أن لا يقوم في الأوهام
لرأينا مستيقظين أمورا ... حسبنا أن تكون رؤيا منام
أقدم الخائن اللعين عليها ... وعلى الله أيما إقدام
وتسمى بغير حق إماما ... لا هدى الله سعيه من إمام

ومنها قوله[1]:

انفروا أيها الكرام خفافا ... وثقالا إلى العبيد الطغام
أبرموا أمرهم وأنتم نيام ... سوءة سوءة لنوم النيام
صدقوا ظن إخوة أملو ... كم ورجوكم لنبوة الأيام
أدركوا ثأرهم فذاك لديهم ... مثل رد الأرواح في الأجسام
لم تقروا العيون منهم بنصر ... فأقروا عيونكم بانتقام

أما النموذج الثاني للعلاقة بين النص الشعري والمتخيل فهو شعر المتنبي الذي قيل في كافور الإخشيدي، حيث ركز المؤلف "نادر كاظم" على إبراز التناص بين النص الشعري والمتخيل على أساس كل من المطابقة والانحراف[2]:

ويثير "نادر كاظم" مسألة المدح والهجاء في شعر المتنبي تجاه كافور، باعتباره أولا حاكم مصر وبلاد الشام والحجاز، وكونه عبدا خصيا، لذلك فإن هناك حالات ثلاث في شعر الكافوريات، أشار إليها بقوله: «إذا أراد المتنبي مدح كافور قال أنت سيد شريف، وإذا أراد هجاءه قال أنت عبد أسود حقير، وإذا أراد الحال التي بن الحالين قال لست عبدا حقيرا، أي نفى عنه العبودية وما امتاز به العبيد السود من سمات في الأخلاق والخلقة دون أن يجعله في مقام العرب الأسياد ... وليس للنوع الأخير من الكافوريات وجود مستقل، فهي لا تكون إلا مدسوسة في تضاعيف الكافوريات المدحية، إذ لا يستقيم وجودها في الهجاء»[3]

ومن الأبيات التي أشار إليها "نادر كاظم" بخصوص تصوير المتنبي لكافور ما يلي:

من كل رخو وكاء البطن منفتق ... لا في الرجال ولا النسوان معدود
ألم تفهم الخنثى مقالي وأنني ... أفارق من أقلى بقلب مشيع
أقيم على عبد خصي منافق ... لئيم ردي الفعل للجود مدعي
ومصر لعمري أهل كل عجيبة ... ولا ثل ذا المخصي أعجوبة نكرا
فيا هرمل الدنيا ويا عبرة الورى ... ويا أيها المخصي من أمك البضرا

[1] المرجع نفسه، ص 463-464.
[2] ينظر؛ المرجع نفسه، ص 470.
[3] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص 471.

فعاقبني المخصي بالغدر جازيا لأن رحيلي كان من حلب غدرا
من علم الأسود المخصي مكرمة أقومه البيض أم آباؤه الصيد
صار الخصي إمام الآبقين بها فالحر مستعبد والعبد معبود
أيموت مثل أبي شجاع فاتك ويعيش حاسده الخصي الأوكع
لقد كنت أحسب قبل الخصي ي أن الرؤوس مقر النهى
ولما نظرت إلى عقله رأيت النهى كلها في الخصى

ومنه قول المتنبي أيضا[1]:

جاز الألى ملكت كفاك قدرهم فعرفوا بك أن الكلب فوقهم
لا شيء أقبح من فحل له ذكر تقوده أمة ليست لها رحم
سادات كل أناس من نفوسهم وسادة المسلمين الأعبد القزم
أغاية الدين أن تحفوا شواربكم يا أمة ضحكت من جهلها الأمم

كما أشار "نادر كاظم" في كتابه إلى شعر الشعراء السود الذين عبروا عن التمثيل المضاد، أو مقاومة التمثيل ومن الأمثلة على ذلك شعر عنترة بن شداد والذي منه قوله[2]:

لئن ألك أسودا فالمسك لوني وما لسواد جلدي من دواء
ولكن تبعد الفحشاء عني كبعد الأرض عن جو السماء
ما ساءني لوني واسم زبيبة إذ قصرت عن همتي أعدائي

وقوله:

لئن يعيبوا سوادي فهو لي نسب يوم النزال إذا ما فاتني النسب

وقوله:

وما عاب الزمان علي لوني ولا حط السواد رفيع قدري

ومن الشعراء السود الذين كانوا يشعرون بالإحراج من لون بشرتهم الشاعر نصيب بن رباح الذي كان ابنا لأمة حبشية أو نوبية، وقد وثب عله عمه بعد وفاة أبه فاستعبده ثم باعه لعبد العزيز بن مروان، ولم يجد "نصيب" من خلاص من ذل العبودة وعقدة السواد سوى قول الشعر (كما فعل عنترة قبله)، ومن شعره قوله:[3]

لبس السواد بناقص ما دام لي هذا اللسان على فؤادٍ ثابت

[1] المرجع نفسه، ص 484.
[2] المرجع نفسه، ص 505.
[3] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، ص 514.

من كان ترفعه منابت أصله فبيوت أشعاري جعلن منابتي

كم بين أسود ناطق ببيانه ماضي الجنان وبين أبيض صامت

إني ليحسدني الرفيع بناؤه من فضل ذاك وليس بي من شامت

وقول أيضا:[1]

وإن أك حالكا لوني فإنني لعقل غير ذي سقط وعاء

وما نزلت بي الحاجات إلا وفي عرضي من الطمع الحياء

أما الشاعر أبو دلامة فقد كان نموذجا مختلفا للسواد المستوعب في الثقافة العربية، فهو لا يتورع عن المجاهرة بفسوقه ومجونه، وعرف أنه كان فاسد الدين، رديء المذهب، مرتكبا للمحارم، مضيعا للفروض، مجاهرا بذلك، كما كان يجاهر بسواده وقبحه، ولا يتورع عن هجاء نفسه، ووصفها باللؤم، وتشبيهها بالقرد والخنزير، قول مثلا[2]:

ألا أبغ لديك أبا دلامة فليس من الكرام ولا كرامة

إذا لبس العمامة كان قردا وخنزيرا إذا نزع العمامة

جمعت دمامة وجمعت لؤما كذلك اللؤم تتبعه الدمامة

فإن تك قد أصبت نعيم دنيا فلا تفرح فقد دنت القيامة

ومن الشعراء السود "سحيم عبد بن الحسحاس" الذي كان عبدا أسود نوبا أعجميا فاشتراه بنو الحسحاس، وظل عبدا حتى مقتله وتحريقه في الأخدود، فقد ولد عبدا وبقي عبدا لا يعرف عن أبوبه ونسبه شيئا، ولم يكن "سحيم" جميل الوجه والمنظر، بل كان من القبح بحيث بثير دهشة النسوة اللاتي يقصدنه، كحال تلك التي:[3]

أشارت بمدراها وقالت لتربها أعبد بني الحسحاس يزجي القوافيا؟

رأت قتبا رثا وسحق عباءة و أسود مما ملك الناس عاريا

وهو يصف كيف دهشت نساء الحارثيين حن أتاهن يوما، فيقول:

أتيت نساء الحارثيين غدوة بوجه براه الله غير جميل

فشبهني كلبا ولست بفوقه ولا دونه لإن كان غير قليل

[1] المرجع نفسه، ص 515.

[2] المرجع نفسه، ص 522.

[3] المرجع نفسه، ص 530.

خـــاتـــمـــة

في ختام هذا البحث يمكن القول إن النقد الثقافي عرف تطورا من حيث الدراسة، وذلك من خلال جهود عدد من النقاد الذين أثروا الساحة العربية بمؤلفاتهم التي عالجت العلاقة بن النقد الأدب والدراسات الثقافية التي يتأثر بها الكاتب أو المبدع في كتابه نصه.

ويعد الناقد البحريني نادر كاظم أحد الوجوه البارزة في الدراسات النقدية الثقافية من خلال مؤلفاته التي عالجت بعض القضايا النقدية، ودراسة العديد من النصوص السردية والشعرية دراسة نقدية ثقافية.

ساهم نادر كاظم، بعدد من المؤلفات والمقالات في المجلات المحكمة، والتي حاول من خلالها مقاربة الواقع الثقافي العربي، منها على سبيل المثال: استعمالات الذاكرة، في مجتمع تعددي مبتلى بالتاريخ - إنقاذ الأمل، الطريق الطويل إلى الربيع العربي - تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط - خارج الجماعة، عن الفرد والدولة والتعددية الثقافية - طبائع الاستملاك، قراءة في أمراض الحالة البحرينية - المقامات والتلقي، بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث - لماذا نكره؟ أو كراهيات منفلتة مرة أخرى.

يتميز منهج نادر كاظم بدراسة مختلف الأنساق الثقافية المهيمنة على الساحة العربية، وما تتميز به من تقلبات نتيجة تأثرها بالأوضاع السياسية والاقتصادية، إضافة إلى التنوع الثقافي سيما في البحرين.

كتاب تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وزارة الإعلام البحرين، ط1، 2004، هو أطروحة دكتوراه، وقد حصل به على جائزة الكتاب البحريني المتميز الأولى عام 2005.

ضم الكتاب بابين أولهما يتحدث فيه المؤلف حول مرجعيات المتخيل وعلاقة ذلك بالتمثيل الثقافي، حيث ناقش من خلاله المرجعيات الثقافية التي جعلت العربي يتمثل السواد تمثلا ثقافيا دونيا مقارنة بذوي البشرة البيضاء، وقد قسم هذا الباب إلى فصلين: الأول بعنوان الأسود في مرجعيات المتخيل العربي، والثاني بعنوان مستويات المغايرة وقوة التمثيل.

أما الباب الثاني فكان حول السواد وعلاقته بالتمثيل الثقافي التخييلي، حيث عالج من خلاله نادر كاظم الأدب بوصفه تمثلا ثقافيا، وجاء هذا الباب مقسما إلى فصلين، الأول تمثل في دراسة

بعض النصوص الحكائية السردية التي جعلت من السواد موضوعا لها، أما الفصل الثاني فعالج فيه المؤلف الشعر العرب الذي اتخذ من السواد سبلا للهجاء أو المدح لدى عدد من الشعراء الجاهليين والأمويين والعباسيين كابن الرومي وبشار بن برد والمتنبي، إضافة إلى شعر الشعراء السود مثل عنترة بن شداد وسحيم عبد بني الحسحاس وأبي دلامة.

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولا: المصادر

1 التوحيدي أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، تح: هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، صيدا، بيروت، 1432ه – 2011م.

2 رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، دار كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2012.

3 السيوطي جلال الدين، نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسود والسمر، تح: سمير حسين حلبي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت.

4 القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1427ه / 2006م، ج 13.

5 ابن النديم، الفهرست، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1997.

6 حسان بن ثابت، الديوان، تح عبده مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1414ه / 1994.

7 القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت، د.ط، د.ت.

8 سيرة بني هلال، المكتبة الشعبية، بيروت، ط1، 1981.

ثانيا: المراجع

1 آرثر أزابرجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء إبراهيم، رمضان بسطاويس، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2003.

2 تيري إيجلتون، فكرة الثقافة، ترجمة شوقي جلال، دار الكتب 2012.

3 جميل حمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة، (نظرية الأنساق المتعددة)، د.ط، د.ت.

4 صلاح قنصوة، تمارين في النقد الثقافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2007.

5 عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2005، لبنان، بيروت

6 عبد الله الغذامي، وعبد النبي أصطيف، النقد الثقافي أم النقد الأدبي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2004.

7 عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2014.

8 محمد نور الدين أفاية، الغرب المتخيل، صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000.

9 نادر كاظم، استعمالات الذاكرة، في مجتمع تعددي مبتلى بالتاريخ، مكتبة فخراوي، المنامة، ط1، 2008.

10 نادر كاظم، إنقاذ الأمل، الطريق الطويل إلى الربيع العربي، مسعى للنشر والتوزيع، المنامة، ط1، 2013.

11 نادر كاظم، تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وزارة الإعلام البحرين، ط1، 2004.

12 نادر كاظم، خارج الجماعة، عن الفرد والدولة والتعددية الثقافية، دار سؤال للنشر، بيروت، ط1، 2016.

13 نادر كاظم، طبائع الاستملاك، قراءة في أمراض الحالة البحرينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وزارة الإعلام البحرين، ط1، 2007.

14 نادر كاظم، المقامات والتلقي، بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وزارة الإعلام البحرين، ط1، 2003.

15 نادر كاظم، لماذا نكره؟ أو كراهيات منفلتة مرة أخرى، دار سؤال للنشر والتوزيع، 2018.

16 نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، تر: يوسف فهما حجازي، منشورات الجمل، بغداد، ط1، 2010.

ثالثا: المعاجم

1 جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2003م.

2 ابن فارس، أبو الحسن أحمد، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، ج2.

3 الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث ، 2008، القاهرة.

4 ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 2000، مادة (ث ق ف)، ج 9.

5 مجموعة مؤلفين، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2010.

رابعا: المذكرات

1 بجاوي صالحة، تمثيل الأنا للآخر في رحلة الذهب والعاصفة لإلياس الموصلي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر، تخ: أدب عربي قديم، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة، 2020-2021.

2 **ميلودي أحلام**، منظومة النقد الثقافي العربي المعاصر – نادر كاظم ومفاهيم التحليل الثقافي في كتاب تمثيلات الآخر، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تخ: نقد حديث ومعاصر، كلية الآداب واللغات، جامعة يحيى فارس، المدية، 2022-2023.

خامسا: المقالات

1 **بعزيز سلاف**، التأصيل النظري لمصطلح "المرجعية" في التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة حمة لخضر، الوادي، مج7، ع8، ديسمبر 2015.

2 **سعاد بولحواش**، الطيب بودربالة، الخيال والمتخيل، مقاربة في المفهوم والمصطلح، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة، مج09، ع02، ديسمبر 2023.

3 **عطا الله عبد الباقي**، الديب حامة، التمثيل الثقافي – قراءة في المفهوم - مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة حمة لخضر، الوادي، مج 13، ع 02، 15 – 09 - 2021.

مكاكي محمد، النقد الثقافي وأسئلة التمثيل، المفهوم والتحديات، مجلة المدونة، جامعة البليدة 2 لونيسي علي، مج 08، ع 02، 30 جوان 2021.

سادسا: المواقع الإلكترونية

1 **ترجمة الناقد البحريني نادر كاظم** على موقع ويكيبيديا: الموسوعة الحرة على الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%A7%D8%AF%D8%B1_%D9%83%D8%A7%D8%B8%D9%85

2 **واياو فاطمة**، مشروع نادر كاظم النقدي والفكري، نحو فكر الأمل الإنساني والعربي، موقع الفيصل، بتاريخ 1 يوليو 2025، على الرابط:

https://www.alfaisalmag.com/?p=987522024

3 **أرشيف الشارخ** للمجلات الأدبية والثقافية العربية، على الرابط:

https://archive.alsharekh.org/AuthorArticles/12922

4 **حوار "نادر كاظم"** حول كتابه المقامات والتلقي لموقع سما ورد، بتاريخ 24 فبراير 2021، على الرابط:

https://samaward.net/

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات	
بسملة	
شكر	
إهداء	
مقدمة	أ
الفصل الأول: التعريف بنادر كاظم وكتابه تمثيلات الآخر	**1 - 19**
المبحث الأول: التعريف بالمؤلف	2
1 سيرته العلمية	2
2 مؤلفاته	4
3 منهجه في النقد الثقافي	8
المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف	11
1 من حيث الشكل	11
2 من حيث المضمون	14
3 المفاهيم الثقافية في الكتاب	17
الفصل الثاني: دراسة مضمون تمثيلات ثقافية	42 - 20
المبحث الأول: الأسود في مرجعيات المتخيل العربي	21
1 مرجعية الأنساق الثقافية	22
2 الأسود والحاجة إلى التمثيل	24
3 خطاب الاستفراق والصورة النمطية عن السود	**26**
4 الزنجي والطرب	28
المبحث الثاني: الأسود والتمثيل الثقافي التخييلي	31
1 السرد وعبور الحدود	32
2 الأسود في التمثيل السردي	34
3 الشعر وخطورته في التمثيل	36
4 الأسود في التمثيل الشعري	37
خاتمة	43
قائمة المصادر والمراجع	46
فهرس المحتويات	50